كفار قريش وآيات الاقتراح
دراسة في ضوء القرآن الكريم

الدكتور سليمان بن عبدالله السويكت
قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة :

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، وصلى الله تعالى وسلم على رسوله النبي الأمي الأمين ، أما بعد :

فقد استرعى انتباهي ولفت نظري وأنا أقرأ في كتاب الله العزيز واحدٌ من تلك الأساليب الكثيرة التي اتخذها أعداء الله تعالى وأعداء الدعوة التي جاء بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ذريعة للعزوف عن تلك الدعوة والصدِّ عنها ؛ ذلكم هو أسلوب اقتراح الآيات (المعجزات) على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، حيث تجرَّؤوا بذلك على الخالق سبحانه وتعالى واستكبروا على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولم ينتفعوا بآيته العظمى التي لم ترَ أمةٌ من الأمم مثلَها في الوضوح والدلالة على الحق وهي القرآن الكريم .

وبما أن القرآن الكريم يعد المصدر الأول لسيرة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو السجل الوحيد عل ظهر الأرض الذي لم يطرأ عليه زيادة أو نقصان في أي زمن من الأزمان ، حيث ظلّ محفوظاً بحفظ المولى عز وجل ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر : ٩] بما أنه كذلك فقد تتبّعتُ الآيات القرآنية الواردة بهذا الصدد واستخرجتها ، ثم رجعت إلى بعض كتب التفسير التي تعين على فهمها ، وتنزيلها منازلها ، ومن ثم صنفتها ، وبينت بعض أقوال أهل العلم فيها ، ثم ختمت بأهم الملحوظات والنتائج التي أسفرت عنها الدراسة .

وحتى تكتمل الصورة في ذهن القارئ لهذا الموضوع مهَّدتُ له بحديث موجز عن بعض آيات الأمم السابقة ، ثم عن آية هذه الأمة العظمى التي أوتيها

الرسول ﷺ ابتداء من غير طلب وهي القرآن العزيز، و موقف كفار قريش منها . وعرضت بإيجاز شديد لبعض الآيات (المعجزات) الأخرى التي أوتيها الرسول ﷺ خاصة في مكة . وماذا كان موقفهم منها . ثم توقف البحث أخيراً عند بيان المهمة الرئيسة التي بعث الرسول ﷺ من أجلها لنرى إلى أي حد كان يمكن أن يجاريهم الرسول ﷺ في عروضهم تلك وآياتهم المقترحة . وما التوجيه الرباني إزاء ذلك ؟ .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يصلي على نبيه وآله ويسلم تسليماً كثيراً .

مدخل :

للآية في كلام العرب معان متعددة ومتقاربة في معظمها ، منها : العلامة ، والبيّنة ، والحجة ، والبرهان ، والأمارة ، والمعجزة ، والعبرة ، والآية من التنزيل[1] . والمقصود في هذا البحث (المعجزة) وما يدور حولها من معان ، وجمعها معجزات ، وهي : " الأمور الخارقة للعادة التي يظهرها الله تعالى على يد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام لإلزام من كذبهم إذا عجزوا عن الإتيان بالمثل[2] .

وظهور الآيات على أيدي الرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ضرورة تحتمها طبيعة دعواتهم وطبيعة الأقوام الذين أرسلوا إليهم ؛ فدعواتهم تحمل في طياتها التوجيه نحو عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى من أي شائبة من شوائب الشرك ، ويتبعُ الإيمانَ بالله تعالى الإيمانُ بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجنة ونار ، وكلها أمور تدخل في نطاق الغيب ، قال تعالى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾[**البقرة** : ١٧٧] . وغالبا ما تكون طبيعة الأقوام المرسل إليهم طبيعة جاهلية ، قد انحرفت عقائدهم عن الفطرة السوية ، وتأثروا بالموروثات الفاسدة عن الآباء والأجداد ، وتعصبوا لها تعصباً أعمى ، فصاروا يعيشون الحياة المنحرفة صباح مساء حتى ألفوها ، فاختلت عندهم معايير الخير والشر . وعندئذ يكون من الصعب إيمانهم بتلك المغيبات وصرفهم عن هذه الحياة إلى حياة أخرى وفق ما جاءت به دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا بصوارف قوية وبراهين ساطعة دامغة تجعلهم يقفون حيالها موقف العجز والتسليم ، ومن ثم يضطرون للاقتناع بما دُعوا إليه ، إن كان لهم رغبة في اتباع الحق .

فالهدف إذاً من ظهور الآيات على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام الدلالة على صدقهم بأنهم مرسلون من عند الله تعالى ولتأييد دعواتهم ولإلزام من كذبهم بالحجة ، لأن مالك الآيات ومجريها على أيدي الرسل هو الباري عز وجل ، قال تعالى عن نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ..** ﴾ [**آل عمران** : ٤٩] ، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ** ﴾ [**الأنعام** : ١٠٩] ، وقال عز وجل : ﴿ **وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [**الرعد** : ٣٨] .

آيات بعض الأمم السابقة :

لقد جاءت الآيات التي أمد الله تعالى بها عباده المرسلين إلى أممهم متنوعة ومتناسبة مع أحوال الأقوام الذين ظهرت فيهم ، وما اشتهروا به في عصرهم من علوم وما نبغوا فيه من فنون على وجه العموم ، بل إن تلك الآيات جاءت على مستوى أكبر وأتقن مما ارتقوا فيه من العلوم والفنون ، وذلك حتى تقوم بها الحجة التي تقهر النفوس المعاندة للحق والمكابرة عن الإصغاء إليه[٣] .

وسنورد فيما يأتي نماذج على هذا النمط من آيات الأمم السابقة ؛ فحيث كانت قبيلة ثمود- وهي عاد الثانية[٤] تسكن في مناطق الحِجْر وما حولها اتخذوا من السهول قصوراً مزخرفة ، ومن الجبال بيوتاً منحوتة متقنة ، وكانوا أهل مواش كثيرة ، وأهل حروث وزروع[٥] ، وطغوا فعبدوا غير الله سبحانه وتعالى ، فأرسل الله إليهم أخاهم صالحاً - عليه الصلاة والسلام - ، فذكّرهم بالله تعالى ، فلم يقبلوا منه ، فأمده الله تعالى بآية تناسب حالهم ، بل إنها جاءت وفق طلبهم عندما اقترحوا على صالح في تحدٍّ أن يخرج لهم

من صخرة معينة ناقة ذات صفات محددة ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق أن يؤمنوا به ويتابعوه إن أجيبوا إلى ما طلبوا ، فأعطوه ذلك . فدعا الله تعالى ، فانفطرت تلك الصخرة عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها ، فآمن بعضهم و كفر الأكثرون ، فقال لهم صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد ظهور هذه الآية العظيمة : ﴿ **وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ** ﴾ [**هود** : ٦٤] ، و كانت الناقة تَرِدُ الماء يوماً فترد القبيلة بأسرها على ضرعها كلٌّ يصدر قد ملأ آنيته منه ، ثم يردون هم في اليوم الثاني الماء ، فمكثت على هذا إلى ما شاء الله[٦] ، إلى أن غلبهم الشقاء ﴿ **فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ** .. ﴾ [**الشعراء** :١٥٧ ، ١٥٨] وهو أن أرضهم زلزلت زلزالاً شديداً ، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت قلوبهم ، و أتاهم ما لم يكونوا يحتسبون ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين[٧] ، وهذا جزاؤهم حيث لم يعتبروا بما طلبوا من الآيات فصاروا هم عبرة للمعتبرين على مر الدهور والسنين .

وكان السحر فناً ذائع الصيت في مصر زمن فرعون الذي دعاه موسى – عليه الصلاة والسلام –هو وقومه إلى الإيمان بالله وحده ، فشمخ بأنفه عالياً واستكبر وهدد ، وطلب من موسى آية تبين مدى صدقه ، فأجرى الله تعالى على يدي كليمه عدداً من الآيات ؛ كان من أظهرها آيتان تحاكيان ما نبغ فيه القوم من السحر ، وهما : عصاه التي تحولت عندما ألقاها بأمر الله إلى حية عظيمة مهولة ، ويده التي سطع منها شعاع بهر أعين الناظرين عندما أخرجها من جيبه ، فكان ذلك آية بينة لموسى على قومه لو كانوا يهتدون ، لكن فرعون نسب ذلك إلى ما يعرفه من السحر وطلب من موسى المبارزة في هذا الفن ، فجمع سحرته من الآفاق ، وحشد الناس ليشهدوا المباراة الفاصلة ، فلما ألقى السحرة ما بأيدهم من حبال وعصي أوحى الله تعالى إلى موسى أن ألق

عصاك، فإذا هي تلقف ما يأفكون ، فخرّ السحرة سجداً مؤمنين بالله ، كافرين بفرعون لما رأوا تلك الآية العظيمة ، حيث إنهم أدرى الناس بفن السحر ، وظهرَ أن ما جاءهم به موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يدخل في هذا الباب ، وليس في وسع البشر ، إنما هو آية على صدق موسى من رب العالمين . لكن فرعون لم ينتفع بهذه الآية وهذا البرهان فركب رأسه وعاند فقَتَلَ أولئك المؤمنين ، وهدد موسى ، فأهلكه الله تعالى بالغرق هو وقومه ، فصار عبرة للطغاة المتكبرين[٨] .

وهذا عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أرسله الله عز وجل وأمده بآيات منها إبراء الأكمه[٩] والأبرص وإحياء الموتى ، وكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً ، كل ذلك بإذن الله تعالى ، أمام قوم نبغوا في الطب أيما نبوغ ومهروا فيه أيما مهارة[١٠] ، فوقفوا أمام هذه الآيات عاجزين حائرين ، وتمادوا في طغيانهم يعمهون .

ثم كان القرآن العظيم آية الرسول العظمى المعجزة لقوم وصلوا في علوم البلاغة و الفصاحة إلى أعلى مراقيها ، كما سنرى ذلك واضحاً إن شاء الله تعالى .

وليس قصدنا هنا استقصاء الآيات التي أمد الله تعالى بها رسله لتكون بينة شاهدة لأقوامهم ولأممهم على صدق رسالاتهم ، وقدرة من أرسلهم ، ولكن هدفنا إيراد أمثلة لنعرف على ضوئها مقدار ما تميزت به الآية الخالدة التي أوتيها نبينا محمد ﷺ . ويلاحظ من خلال ما سبق أن أكثر الأمم السابقة كانت تطلب من الرسل الآيات الخارقة ، بل أحياناً تتفنن قي الطلب وفي تحديد نوع الآية ، ولم يكن ذلك بقصد تبيّن الحق وتطلّبه لاشتباهه عليهم ، وإنما كان للمراوغة والتعنت والاستكبار ، فلذلك لم يستفيدوا من الآيات ،

فكان مصيرهم البوار والهلاك وسوء العاقبة في الدارين ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩]

آية الرسول ﷺ العظمى :

ذلكم القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله النبي الأمي منجماً خلال ثلاث وعشرين سنة هي مدة رسالته ﷺ، هو الآية الكبرى والمعجزة الخالدة العظمى التي خص الله بها نبيه محمداً ﷺ دون سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والتسليم. وهذا القرآن نمط فريد من الآيات فمع كونه أفضل آية أوتيها نبي أو رسول، فهو أيضاً أفضل الآيات الأخرى التي أوتيها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه؛ بما حوى من آلاف المعجزات[١١] التي لا يدركها إلا من جد في تأمله ودراسة علومه التي تمكن من الغوص في أعماقه لمعرفة أسراره ونفيس جواهره. وهو آية بُنيت عليها نبوة نبينا محمد ﷺ وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة وأحوال خاصة وعلى أشخاص خاصة[١٢]. وهو آية تخاطب النفوس والعقول ﴿ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢] عمت الثقلين الإنس والجن ، ولزمت الحجة بها من أول وقت ورودها إلى يوم القيامة[١٣]. وقد ضمن الله تعالى حفظها فلا يصل إليه باطل ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، وكان وعده حقاً ، وسيظل إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

أما وجوه إعجاز القرآن الكريم فقد بسط القول فيها عدد من علماء هذه الأمة من المتقدمين و المتأخرين ، أذكر منهم على سبيل المثال : القاضي أبا بكر

الباقلاني[١٤]، والقاضي عياض اليحصبي[١٥]، وابن الجوزي[١٦]، والسيوطي[١٧]، والزرقاني[١٨]، وقد أفاض هذا الأخير واستوعب ما يتعلق بهذا المعنى ، فذكر ما يزيد على أربعة عشر وجهاً من وجوه إعجازه نظم فيها ما قاله السابقون وزاد ما توصل إليه .

وليس من شأننا في هذا المقام أن نقف عند موضوع الإعجاز مفصلين ، لأنه خارج عن نطاق دراستنا ، لكن ما نريد بيانه هو أن هذا القرآن كان من ضروب إعجازه (لغته وأسلوبه) وقد خوطب به قوم هو لسانهم الذي به يتكلمون ، وهم قد بلغوا في الفصاحة النهاية التي ليس وراءها مَطْلعٌ والرتبة التي ليس وراءها مَنْزَع ، حيث خُصوا من البلاغة بما لم يخص به غيرهم من الأمم ، وحيث كانوا يتنافسون على الفصاحة والخطابة والذلاقة ويتبجحون بذلك ويتفاخرون بينهم[١٩]. ومع ذلك لما جاءهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القرآن وطلب منهم الإيمان رفضه مَنْ كُتب عليه الشقاء منهم ووصفوه ووصفوا الرسول الذي جاءبه بأوصاف كثيرة تدل على مدى الحيرة والتلجلج في أمره ؛ فمما قالوا عنه : إن الرسول صلى الله عليه وسلم افتراه[٢٠]، وإنه تَقَوَّلَه[٢١]، وإنه إفك قديم[٢٢]، وإنه إنما يُعلِّمه بشر[٢٣]، وإنه أعانه عليه قوم آخرون[٢٤]، وإنه أساطير الأولين[٢٥]، وإنه سحر مبين[٢٦]، وإنه سحر يؤثر[٢٧]، وإنه أضغاث أحلام[٢٨]، وإنه قول شاعر[٢٩]، وإنه قول كاهن[٣٠]، ثم نَهَوا عن الاستماع إليه[٣١]، وأعرضوا عنه[٣٢]، وأنكروه[٣٣]، واتخذوه مهجوراً[٣٤]، واتخذوه هزواً[٣٥]، وكادوا يسطون بالذين يتلونه عليهم[٣٦]. ثم أعلنوا بصراحة مكشوفة تنم عن الدَّغَل الذي تنطوي عليه نفوسهم ﴿ **لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾ [سبأ : ٣١] ، فكان موقفهم هذا من الرسول ﷺ والقرآن الذي جاء به من ربه -حجة وبرهاناً يدل على صدقه فيما يدعوا إليه - في غاية الغرابة حيث وصفوه بتلك الأوصاف

الشنيعة. ولهذا فإن الله تعالى تحداهم - وهم من ذكرنا في ميدان الفصاحة والبلاغة - بأن يأتوا بمثل هذا القرآن لما قال قائلهم وهو النضر بن الحارث[٣٧] ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾ [الأنفال: ٣١]، فقال سبحانه: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤]، فلما انقطعوا ولم يستطيعوا طاولهم في المعارضة وتنازل لهم عن التحدي بجميع القرآن إلى التحدي بعشر سور مثله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣، ١٤]، فلما عجزوا عن هذه أيضاً مَدَّ لهم حبل المعارضة، بل أرخاه لهم حتى آخره، فقال في سورة البقرة ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]، فكان عجزهم شنيعاً، و سجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر، فلم يفعلوا ولن يفعلوا فافتضحوا وظهر أمر الله وهم كارهون[٣٨]. ثم يؤكد الله تعالى عجزهم مرة أخرى في قوله ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهكذا فإنهم لم يستطيعوا معارضة القرآن ولا دفع حجة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو توهينها مع حاجتهم الماسة إلى ذلك ومع أنهم ﴿ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]، و ﴿ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: ٩٧]. لكن يا ترى هل كانوا في مواقفهم تلك و أوصافهم التي وصفوا بها القرآنَ الكريم صادقين ومقتنعين؟ أم أنهم في قرارة أنفسهم مذعنون مُقرون له بالإعجاز والسبق؟

الواقع يشهد أنهم معترفون له بالإعجاز مع تناهيهم في معرفة تصاريف

الخطاب ووجوهه، وطرق البلاغة والبراعة وفنون الكلام، بل إنهم لم يستطيعوا كبح جماح تلك القوة العارمة التي كانت تتحشرج في صدورهم؛ قوة شهادة الحق التي أنطق الله تعالى بها ألسنتهم لتُسجَّلَ شهادةَ خزي وعار عليهم في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة حيث عرفوا الحق فاعترفوا به، ثم أنكروه وحاربوه.

هذا الوليد بن المغيرة[٣٩]، أحد صناديدهم يسمع القرآن الكريم من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يتمالك - أمام أبي جهل - إلا أن يقسم أنه لا يشبه شيئاً من الشعر ثم يردف: «ووالله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطّم ما تحته»، لكنه انتكس -أخزاه الله- فوصفه بأنه سحر[٤٠].

وهذا عتبة بن ربيعة[٤١] لما قرأ عليه الرسول ﷺ سورة فصلت بهت وجاء إلى قومه، فسألوه ما وراءك فقال: «سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة..»[٤٢].

ويقسم أبو سفيان[٤٣] لزوجته هند بنت عتبة[٤٤]: إنه ليس بساحر ولا كذاب[٤٥]. وكذا النضر بن الحارث يقول عنه: «والله ما هو بساحر ولا كاهن ولا شاعر ولا مجنون»[٤٦] فتلكم اعترافات تُسجل عليهم وهم شهود عيان بالعجز والخذلان أمام تلك الآية العظيمة التي لم يستطيعوا التماسك أمامها. وإذا كان الأمر كذلك فما الذي دعاهم إلى الجحود والنكران؟ لا شك إنه الحسد والبغي[٤٧]، الذي ملأ قلوبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما سيظهر ذلك جلياً عند الحديث عن آيات الاقتراح بإذن الله تعالى.

أما الآيات الأخرى التي أوتيها رسول الله ﷺ فهي كثيرة جداً إذ هو أكثر الرسل معجزة[٤٨]، وسنكتفي هنا بالإشارة السريعة إلى بعض ما حدث

منها في مكة قبل الهجرة بين ظهراني كفار قريش حيث قامت له بها الحجة ﷺ فمن ذلك ؛ انشقاق القمر نصفين كما ورد في الكتاب العزيز[٤٩]، وكتب الحديث[٥٠]، حينما سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ، وأشهدهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك ، ولم يقتنعوا بما شاهدوا بأبصارهم حتى سألوا السُّفار عنه ، فأكدوا لهم وقوعه . فماذا كانت النتيجة؟ أعرضوا، وقالوا : سحر مستمر!!

ومن ذلك ؛ الإسراء به إلى بيت المقدس و العروج به إلى السماوات العلا، وهذا الحدث أيضاً ثابت في القرآن الكريم[٥١]، وفي كتب الحديث[٥٢]، وكتب السير[٥٣]، ولم يخبر الرسول ﷺ كفار قريش إلا بحادث الإسراء فقط، لأنه هو الذي يمكن أن يتصوروه إذا قامت عليه الدلائل، كما ثبت في الحديث الصحيح أنهم لّما أنكروا إخبار الرسول ﷺ إياهم بالإسراء، وطلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس ليثبت دعواه ! جلاّه الله تعالى له فطفق يصفه لهم ويخبرهم عن آياته وهو ينظر إليه[٥٤]، فقالوا : أما النعت فقد والله أصاب!![٥٥] فما لكم إذاً تستنكرون، وعن الإيمان تحيدون ؟!

وثمة آية ثالثة نختم بها ، وهي مصارعة النبي صلى الله عليه وسلم لركانة المطلبي[٥٦] في بعض شعاب مكة ، وكان أشد رجالات قريش، وملخص قصته : أن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منه الإسلام، فرفض إلا بآية ، فقال له الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم : أفرأيت إن صرعتك ، أتعلم أن ما أقول حق ؟ قل : نعم ، فتصارعا ، فصرعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، مرتين أو ثلاثاً ، وهو يتعجب من ذلك ، ثم دعا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم شجرة قريبة فأقبلت حتى وقفت بين

يديه، ثم أمرها فرجعت إلى مكانها ، ومع هذا لم يف ركانة بوعده لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل قال لقومه : ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فو الله ما رأيت أسحر منه قط[٥٧].

ونخلص بعد هذا العرض السريع إلى أن قريشاً لم تنتفع من مشاهدة هذه الآيات التي حصلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتي وقفوا على بعضها كانشقاق القمر وقوفاً لامرية فيه ، ولامجال لأي شك أو احتمال يمكن أن يصرفه عن حقيقته ، و لكن من كتب عليه الشقاء لا حيلة فيه . وكان من المتوقع أن تدفعهم مشاهدتهم لتلك الآيات إلى جانب آية القرآن إلى الإيمان بالله تعالى واتباع رسوله ﷺ وإنهاء الخصومة معه حتى يحصل لهم الفوز الدنيوي والأخروي . ومما هو جدير بالملاحظة أن الآية التي كانوا يُوجهون إليها ويلفت نظرهم لها دائماً بل ويُقرّعون على إهمالها وعدم الانتفاع بها، هي آية القرآن الكبرى التي قال الله تعالى عنها : ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الحشر: ٢١]، وقوله تعالى : ﴿ **وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وقوله : ﴿ **أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقوله عزوجل : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ** ﴾ [الأنعام: ١٠٤] ، وقوله : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا** ﴾ [طه: ١١٣]، وقال سبحانه : ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا** ﴾ [الإسراء: ٨٩] أي أن الله تعالى نوّع في آية القرآن هذه من المواعظ والأمثال، وثنّى فيه من المعاني التي يضطر إليها العباد من أجل أن يتذكروا ويتقوا ، فلم يتذكر إلا القليل منهم ، وهم أهل السبق والسعادة الموفقون بتوفيق الله تعالى، أما الغالبية فكفروا بهذه الآية فحرموها وهي أكبر من جميع النعم ،

وجعلوا يتعنتون على الرسول ﷺ باقتراح آيات غير آياته ، يخترعونها من تلقاء أنفسهم الظالمة الجاهلة[٥٨].

والغريب أن هؤلاء المشركين من كفار قريش كانوا قبل بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن عليه يُظهرون التمني ، خاصة عندما يُعيّرون بالجهل ، فيقولون : لو جاءنا من الذكر والكتب مثل ما جاء الأولين لأخلصنا العبادة لله ، ولكنهم كذبة ؛ فقد جاءهم أفضل الكتب وأفضل الرسل فكفروا به ، ومن أجل ذلك فهم يستحقون العذاب الأليم[٥٩].

أما الآيات الأخرى التي أوتيها النبي ﷺ فهي على كثرتها كان يراد بها إكرام الرسول ﷺ ، ورفع مكانته ، وتطييب خاطره ، وبعث الثقة في نفسه ونفوس المؤمنين من أتباعه ، ولتكون فتنة للذين في قلوبهم مرض ، إضافة إلى كونها في الوقت نفسه شاهد صدق على نبوته ، وحجة على المنكرين ، والله تعالى أعلم .

أصناف آيات الاقتراح :

لاغرو أن كان القرآن الكريم - آية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكبرى - المصدر الرئيس الذي اعتمدت عليه في هذا البحث بعد الله تعالى[٦٠] ، إذ هو المنبع الأول لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم ، والمعلومات المستقاة منه يجد الباحث لها قبولاً و ارتياحاً واطمئناناً عجيباً نظراً لإحساسه العميق بمصداقيتها فضلاً عن العوامل الأخرى التي تحتف بها[٦١].

ومن خلال الاستقراء وجدت ما يزيد على خمسين موضعاً ، أُشيرَ في كل منها إلى شيء من الآيات المقترحة من قبل كفار قريش ، ومن صناديدهم بالذات إما تصريحاً أو تلميحاً ، حيث رغبوا إلى الرسول ﷺ أن يحققها لهم حتى يؤمنوا به ويتابعوه ويعلموا أن ماجاء به من الرسالة هو من عند الله تعالى

حقاً .

ويمكن أن نصنف آيات الاقتراح على النحو الآتي :

أولاً : آيات طلبوها تتعلق بذات الله تعالى الله وتنزه عن ما يقترحون ويقولون علواً كبيراً :

- مثل قولهم فيما حكى الله تعالى عنهم : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ** ﴾ [**البقرة**: ١١٨]، أي : هلاّ يخاطبنا الله تعالى بنبوة محمد ﷺ من أجل أن نعلم ونطمئن بأنه نبي فنؤمن به، وظاهر السياق يدل على أن المقصود كفار العرب أي قريش، وهو قول جماعة من أهل العلم منه : أبو العالية[٦٢]، والسدي[٦٣]، والربيع بن أنس[٦٤]، وقتادة[٦٥]، قال الله تعالى مُبيناً مَنْ يشابهون في مثل هذا الاقتراح : ﴿ **قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [**البقرة**: ١١٨]، أي مثل هذا القول الذي قال به مشركو العرب قال به من قبلُ اليهود والنصارى، فقلوب هؤلاء وأولئك متشابهة في الكفر والعناد والعتو[٦٦]. قال ابن سعدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [**الشورى**: ٥١] «ردّ الله بهذه الآية الكريمة على المكذبين لرسل الله الكافرين به، الذين قالوا تكبراً وتجبراً ﴿ لولا يكلمنا الله . . ﴾ ، وبيّن أن تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه للأنبياء والمرسلين وصفوته من العالمين[٦٧].

- ومثل قولهم في آية أخرى ﴿ . . **أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا** ﴾ [**الفرقان**: ٢١] أي : هلا نرى ربنا فيخبرنا أن محمداً محق فيما يقول، وأن ما جاءنا به صدق[٦٨]، ويقول هذا رسولي فاتبعوه[٦٩]، يا الله !! ما هذه الكبرياء؟

وما هذا التعالي؟ أليس هذا بعينه ما قالته بنو إسرائيل لنبيهم موسى عليه الصلاة والسلام كما حكى الله تعالى عنهم : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ..** ﴾ [**البقرة**: ٥٥] ، جرأة وأي جرأة ، فظاظة وأي فظاظة ، قال تعالى فاضحاً ما بدخائلهم في آخر الآية ﴿ لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ﴾

- ومثل قولهم الآخر ﴿ **أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ ..** ﴾ [**الإسراء**: ٩٢] فنقابله ونعاينه معاينة ، يشهد لك بما جئت[٧٠] يلاحظ الواقف على هذه المقترحات من الآيات التي يريدونها ليحصل منهم الإيمان بالله تعالى والتصديق برسوله صلى الله عليه وسلم سوءَ الأدب مع الله تعالى وتقدس ، والتغطرس والكبرياء والجرأة والاعتداء والفظاظة واللؤم القُحُّ[٧١] ؛ فهم لم يكتفوا بعدم قبول الدعوة بل تمادوا إلى التعدي في الطلب و الاشتطاط في الاقتراح إلى مثل ما نراه هنا .

ثانياً : آيات اقترحوها تتعلق بالملائكة عليهم السلام :

- من ذلك قولهم كما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ ..** ﴾ [**الفرقان**: ٢١] أي : هلا نزلت الملائكة تشهد لك يا محمد بالرسالة وتؤيدك عليها ، أو تنزل رسلاً مستقلين[٧٢] . قال تعالى متوعداً إياهم إن استمروا على جرمهم وعنادهم ﴿ **يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا** ﴾ [**الفرقان**: ٢٢] أي أنهم لن يروهم وهذه حالهم إلا في مواقف عصيبة عند نزع أرواحهم ، ثم في قبورهم ، ثم يوم القيامة عندما يسوقونهم إلى النار لإسلامهم لخزنة جهنم الذين يتولون عذابهم ويباشرون عقابهم ، فهذا الاقتراح الذي طلبوه لابد أن يروه إن هم أصروا على ما

هم عليه من المكابرة والعناد [٧٣].

- ومن ذلك اقتراحهم حينما اقترحوا على الرسول ﷺ بأن يأتي بالملائكة ليعاينوهم ويشهدوا للرسول ﷺ أمامهم بأن ما ماجاء به حق، كما في آية الإسراء التي مرّ بعضها قبل قليل ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾

- ومن هذا القبيل أيضاً اقتراحهم بأن ينزل على الرسول ﷺ ملك من السماء ليساعده ويؤازره على حمل الرسالة، فهو بزعمهم غير كاف، ولا مقتدر على حملها والقيام بها، وحتى يكون شاهداً على صدق ما يدعيه [٧٤]، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً**﴾ [الفرقان: ٧]

- ويشابه ذلك أيضاً قولهم: ﴿**أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ**﴾ [هود: ١٢].

- وقولهم: ﴿**لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ**﴾ [الأنعام: ٨]، ذكر ابن إسحاق في سبب نزول هذه الآية أن الرسول ﷺ دعا قومه إلى الإسلام وأبلغ في ذلك، فقال له بعضهم: لو جعل معك يا محمد ملك يُحدّث عنك الناس ويُرى معك! فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ**﴾ [٧٥].

هذا وقد لاحت لي نكتة عجيبة وهي أنهم كيف سيقبلون شهادة الملائكة مع الرسول ﷺ إذا نزلوا معه لهذا الأمر، وهم يزعمون أنهم بنات الله [٧٦]، تعالى الله وتنزه عن ما يقولون علواً كبيراً، مع العلم أن المرأة لا قيمة لها ولا اعتبار في نظرهم الجاهلي.

وتلفت النظر آيات أخرى في القرآن الكريم إلى أنه ما كان رفض كثيرين منهم للإيمان إلا استعجابُهم من كون الرسول ﷺ بشراً مثلهم، كقوله

تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٤]، وكما في آية أخرى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، فماذا يريدونه إذاً؟! كأنهم بزعمهم يرون أن رسالة الله لا تكون إلا على أيدي الملائكة، وهو تصور خاطئ لأنه بناء على أمر محال؛ إذ لا يمكن تلقيهم عن الملك، لاختلاف الطبيعتين، ولو جاءهم الرسول ملكاً لتصور لهم في صورة رجل حتى يطيقوا التلقي عنه، وهذا من ثَمَّ سيورث اللبس عندهم والاختلاط عليهم فتعود مشكلتهم كما بدأت، وهم السبب في ذلك، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٥]، يعني من جنسهم، وقال تعالى موضحاً السنة الإلهية في إرسال الرسل إلى البشر: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. إن الباحث لتستوقفه تلكم الآيات المتكررة التي يتوعد بها الباري عز وجل أولئك المقترحين لآية إنزال الملائكة على الرسول ﷺ وتخويفه إياهم بسوء العاقبة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨] أي بتعجيل هلاكهم وعدم إنظارهم لأن هذه سنة الله تعالى في من طلب الآيات المقترحة، ثم لم يؤمن بها(٧٧)، وكقوله عز وجل: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [النحل: ٣٤]، أي تأتي الملائكة لقبض أرواحهم، ويأتي أمر ربك بالعذاب الذي سيحل بهم لأنهم استحقوا وقوعه فيهم(٧٨)، وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ

انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]. آيات فيها عبرة و مُدَّكَر لهم لو كان لهم رغبة في الهداية، ولكن تعنتهم وإصرارهم على الباطل كان حاجزاً بينهم وبين اتباع الحق.

ثالثاً: آيات اقتراح تتعلق بالرسول ﷺ نفسه:

- وقد أوقفوا إيمانهم على تحقق تلك الآيات أو بعضها، فمنها؛ أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم جنة ذات أنهار وأشجار، كما حكى الله تعالى عنهم في محكم تنزيله قائلاً: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً﴾ [الإسراء: ٩١]، أي يكون لك بستان فيه من ضروب النخيل وأشجار الأعناب الشيء الكثير، تتدفق الأنهار بينها في أصولها، فتستغني بذلك عن المشي في الأسواق والذهاب والمجيء في طلب الرزق[٧٩].

- وهذا مثل قولهم في آية أخرى ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٨].

- وعجيب أمر هؤلاء - وكل أمرهم عجب - !! فحيث أن مبدأهم من أصله مبني على فساد، تجد التناقض يظهر في أقوالهم و يبين الخلل فيها ويهدم بعضها بعضاً؛ فهم قد عجبوا أن جاءهم رسول يأكل الطعام، ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] ويقترحون هنا أن تكون له آية ﴿جنة يأكل منها﴾ كما يأكل سائر البشر.

- ويمضون في اقتراح الآيات فيقولون: ﴿لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ [هود: ١٢]، أي هلا أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم مال مجموع من غير تعب[٨٠] فيسد بهذا المال حاجته ويستغني عن الطلب.

- وقالوا في اقتراح آخر مشابه ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ [الفرقان: ٨] إلقاء هكذا من غير تحرك ولا تعب، فينفق منه ما يشاء لا ينفد ولا يبيد[٨١].

- وهذا اقتراح لآية أخرى جديدة ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣] منضّد مزخرف بالزينة، مموّه بالذهب، مرقّش بالفضة، منمنم بمتاع الدنيا وزينتها، فتكون فيه مرفهاً منعماً[٨٢]. ووالله إن أمرهم لغريب غاية الغرابة!! فهل شكى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حاله أو فاقته عليهم حتى يقترحوا له مثل هذه الاقتراحات، أو تتنزل عليه مثل هذه الآيات لينتفع بها؟ أليس هذا هو التطفل بعينه، والتدخل في شؤون الآخرين؟ وإلا ما علاقة هذا بالإيمان، وصِدْق الرسول صلى الله عليه وسلم من كذبه؟!

- وقال تعالى مبيناً مزيداً من مقترحاتهم المتعنتة التي ربطوا إيمانهم بوقوعها: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ [الإسراء: ٩٣]!! لا ولن يكتفى بمجرد الدعوى في هذا، وإنما لابد من دليل وبينة وبرهان - كما سنرى إن شاء الله تعالى في المقترحات الخاصة بهم - ولكن هل يا ترى لو حصل هذا سيصدقون ويؤمنون؟ كلا، ألم يعلموا فيما بعد بآية الإسراء والمعراج التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم - مع أن حدوثها لم يكن تحقيقاً لمقترحهم - فلم يحصل منهم إيمان ولا تصديق، بل سخرية وتكذيب.

ولما كانت تلك الأقوال والمقترحات التي طرحوها عجيبة جداً، قال الله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٩]، فأقوالهم متناقضة كلها جهل وضلال وسفه، وليس في أي شيء منها أدنى حق أو هدى، بل ولا في أي شيء منها أدنى شبهة تقدح في رسالة الرسول ﷺ، بل إن مجرد نظر العاقل إليها وتصورها تجعله يجزم ببطلانها، ويكفي ذلك عن ردها[٨٣].

ثم قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠]، أي يعطيك خيراً مما قالوا واقترحوا وكانوا يرونه عظيماً في نفوسهم(٨٤)، فقدرة الله عز وجل لا تقْصُر عن ذلك، ولكن لما كانت عنده الدنيا في غاية الحقارة أعطى منها رسله وأولياءه ما اقتضته حكمته منها، وادّخر في الآخرة ما ستقرّ به أعينهم، أما اقتراحات قريش على الرسول ﷺ فكلها ظلم و جراءة وتعدٍّ(٨٥).

روى ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى بسنده، قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض و مفاتيحها ما لم يعطَ نبي قبلك ولا يعطى من بعدك، ولا ينتقص ذلك من مالك عند الله تعالى، فقال اجمعوها في الآخرة، فأنزل الله في ذلك: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً﴾(٨٦).

وروى الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى بسنده عن النبي ﷺ قال: «عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ـ أو نحو ذلك ـ فإذا جعت تضرعت إليك و ذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»(٨٧).

رابعاً: اقتراح آيات تتعلق بالقرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥] أي أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إذا قرأ على مشركي أهل مكة(٨٨) آيات كتاب الله تعالى المبينة للحق، الواضحة الحجة والبرهان، قالوا متعنتين في جراءة وظلم وردّ لآيات الله تعالى بما يدل على أنهم مستخفّون بلقائه وبالمعاد إليه: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾، وهو طلب عجيب لا يصدر عن إنسان عاقل جاد، إنما يصدر عن عابث هازل جاهل بوظيفة هذا القرآن

وجدّية تنزيله، غير موقن بلقاء الله عز وجل ، أما من أدركه على حقيقته فلن يخطر له على بال أن يتعنت في طلب سواه أو يطلب تبديل بعض آيه أو سوره أو أجزائه[٨٩] !! وإذاً فما الذي حملهم على هذا الاقتراح؟! يظهر ـ والله تعالى أعلم ـ أن ما حفل به القرآن الكريم من تسفيه لأحلامهم على تعظيمهم غير الله تعالى وصرف عبادتهم إلى أصنامهم التي اتخذوها آلهة من دونه وعيب تلك الآلهة وسبِّها ، جعلهم يأنفون من ذلك ويتوجهون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلين : «لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا لاتبعناك»[٩٠]، لكن الطبري رحمه الله تعالى يذكر رأياً آخر يدل على عبثهم وهزلهم وعدم جديتهم؛ حيث يقول : إن التبديل الذي سألوه هو أن يحوّل آية الوعيد وعداً وآية الوعد وعيداً، والحرام حلالاً والحلال حراماً[٩١]، ولو حصل هذا ما الذي سيستفيدونه منه ؟ وما الذي سيتغير من مفاهيمهم؟! لذا أمر الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالرد عليهم : ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [يونس: ١٥، ١٦] أي إن هذا الأمر الذي اقترحوه وهو تبديل القرآن من قِبَل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أمرٌ خارج عن إرادته، لا ينبغي له ولا يستطيعه من تلقاء نفسه لأنه ليس له من الأمر شيء، إنما هو رسول مبلغ عن الله عز وجل آياته ووحيه، ومجاوزتُه إلى ذلك يعد معصية تعرضه لعذاب الله في ذلك اليوم عظيم الهول ـ وحاشاه من ذلك ـ . ثم عرفه الله الحجة على أولئك المشركين بأنه إنما جاءهم به عن إذن الله ومشيئته

وإرادته، ولو شاء الله ما أعلمهم به ولا أشعرهم[٩٢]، وأما الدليل على صدقه فيما جاء به أنه قد لبث فيهم وعاش بين ظهرانيهم قبل بعثته وقبل أن يوحى إليه بهذا القرآن أربعين سنة لم يكونوا يعهدون عليه كذبة أو زلة أو ادّعاء لشيء من مثل هذا القرآن، فلمَ التعنتُ إذاً؟ وأين العقول التي يُميز بها بين الحق والباطل؟!

- وثمة تعنت جديد ومقترح آخر من جملة مقترحات كفار قريش أوحتْ به عقولهم الغارقة في دياجير العماية والعزوف عن النظر في الحق فضلاً عن تطلُّبه أو السعي إليه ألا وهو اقتراحهم الذي بينه الله تعالى بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] أي هلاّ نزل على محمد صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة كما نزلت الكتب التي قبله كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب الإلهية التي نزلت على هذا النحو[٩٣]، و يحتمل معرفتهم بهذا من طريق يهود، الذين كانوا يتصلون بهم ويعلمونهم[٩٤]، لكن ما الهدف، وما المصلحة المترتبة على هذا الاقتراح؟ لا شيء إلا مجرد معارضة الحق ودفع رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم. قال تعالى في بيان الحكمة من تَنزُّله على هذا الوجه: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] أي أن القرآن نزل مفرقاً ومتتابعاً تتنزّل منه الآية أو الآيات بحسب الوقائع والمستجدات حيث تعالج قضايا الأمة وقضايا الدعوة وفق الطبيعة البشرية التي يناسبها الأخذ بالشيء بعد الشيء، لتترسخ المبادئ في الأفهام، و يكون التطبيق والتنفيذ بالتدريج، ونزولُه على هذه الصفة مفرقاً مما يزيد قلب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم طمأنينة وثباتاً ويشجعه، ويزيد اليقين في نفسه، وخصوصاً عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عندئذ يكون له

موقع عظيم وتثبيت كبير ، وبعثٌ جديد للهمة وتحملِ أعباء الرسالة[٩٥].

- ويشبه هذا الاقتراح اقتراحهم الآخر الذي حكاه الله تعالى عنهم في محكم تنزيله بقوله: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ** ﴾ [**القصص**: ٤٨] أي هلاّ أنزل عليه كتاب من السماء جملة واحدة كالتوراة التي أنزلت على موسى جملة في الألواح[٩٦]، وكما أن كل كافر معاند هدفه إبطال الحق يَظْهَرُ التناقضُ والخلل والاضطراب في أقواله وأفعاله فشأنهم كذلك؛ حيث أن قياسهم على كتاب موسى قياسٌ قد نقضوه، فكيف يقيسونه على كتاب كفروا به ولم يؤمنوا؟ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ **أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ** ﴾ [**القصص**:٤٨] أي التوراة والقرآن تعاونا في السحر وإضلال الناس[٩٧]. ثم وضح الله عز وجل الحكمة مرة أخرى من عدم إنزال القرآن جملة واحدة كما يقترحون بقوله: ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [**القصص**: ٥١] أي والينا وتابعنا وأنزلنا القرآن شيئاً فشيئاً؛ وعداً ووعيداً وقصصاً وعبراً ونصائح ومواعظ رحمة بهم ولطفاً، إرادة أن يتذكروا حين تتكرر عليهم آياته وتتنزل عليهم بيناته وقت الحاجة إليها.

خامساً: اقتراح آيات تتعلق بهم أنفسهم:

والآيات التي طلبوها من هذا النوع أكثر وأظهر من غيرها، وذلك يعود - من وجهة نظري - إلى سبب نفسي وهو أن تعلقهم بذواتهم وسعيَهم إلى تأكيد خصوصيتهم بين الأتباع جعلهم يكثرون من اقتراح الآيات من هذا النوع،

انظر مثلاً إلى هذا الاقتراح المغالي :

- ﴿ **وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ** ﴾ [**الأنعام**:١٢٤] يعني يؤتوا النبوة والرسالة ، فيصبحوا أنبياء ورسلاً تأتيهم الملائكة بالوحي من الله تعالى كما تأتي سائر الرسل[٩٨] ، إعجابٌ بالنفوس أيما إعجاب ، وتكبُّر عن الحق الذي أنزله الله تعالى على رسوله أيما تكبر ، و حجرٌ على فضل الله تعالى وإحسانه ، وحسدٌ ملأ القلوب فضاقت عن سماع أي صوت خارج عن دائرة الذوات .

ردّ الله تعالى على هذا الاقتراح الفاسد بأمرين :

الأول : تقرير أن أمر اختيار الرسل للرسالة راجع إلى علم الله تعالى المحيط بمن يليق بهذا التكليف العظيم ، ومن يصلح لها ويقوم بأعبائها ﴿ **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ [**الأنعام**: ١٢٤] مَنْ هو مأمون عليها متصف بكل خلق جميل ، متبرئ من كل خلق ذميم ، أما أولئك المقترحون فتُشعر الآية بأنهم لا يصلحون للخير ، ولا فيهم ما يوجب بأن يكونوا من عباد الله الصالحين ، فضلاً عن أن يكونوا من النبيين والمرسلين[٩٩] .

الثاني : التهديد بالتحقير والصغار والهوان على الله تعالى وبالعذاب الشديد المهين ﴿ **سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ** ﴾ [**الأنعام**: ١٢٤] وهذا الصغار المتوعد به من عند الله عز و جل مقابل للاستعلاء عند الأتباع والتطاول لمقام الرسالة[١٠٠] .

يذكر بعض المفسرين أن الوليد بن المغيرة قال : لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك ؛ لأني أكبر منك سناً ، وأكثر منك مالاً . وقال أبو جهل[١٠١] : والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه ، فنزلت الآية[١٠٢] . مقاييس مادية جاهلية !! وأنانية استغرقت النفوس

استغراقاً .

- وليس ببعيد عن هذا اقتراحهم المشار إليه بقوله تعالى ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ [**الزخرف** : ٣١] ، والعظمة في موازينهم أن يكون زعيم قبيلة ، أو رئيس عشيرة ، أو صاحب جاه ، أو صاحب ثراء ، أو نحو ذلك ، وهذه الأمور كلها لم تكن متمثلة في الرسول ﷺ ، فكيف يقع عليه الاختيار لحمل الرسالة ؟! كيف يجاوز الاختيار عظيمي القريتين ؛ مكة والطائف؟![١٠٣] فهلا كانت الرسالة في واحد منهما . واختلف المفسرون في الرجلين المعنيين ، وإن كان الأكثرون يرون أنهما الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي[١٠٤] من الطائف ، و يرجحون ذلك بما يروى عن الوليد بن المغيرة - وكان يسمى ريحانة قريش - من قوله : لو كان ما يقوله محمد حقاً لنزل عليّ أو على ابن مسعود الثقفي[١٠٥] . ولا يهمنا حقيقة معرفة عين الرجل الذي إليه يرمون لأنه لا فائدة من معرفته ، ولكن يلفت النظر في هذا الاقتراح أمور منها : جراءتهم على الله عز وجل حيث لم تعجبهم حكمته في اختيار من يصلح لرسالته ، انطلاقاً من موازينهم الفاسدة التي تحدد معايير العظمة فيما رأوه ماثلاً فيهم من الجاه والمال . أما ما يتحلى به محمد صلى الله عليه وسلم من (خلق عظيم) يقرون به أجمع فليس لذلك أي اعتبار في نظرهم . ومنها استهانتهم بالقرآن الكريم ، فالتعبير بكلمة (هذا القرآن) كأنها تشعر بالتهوين من شأنه[١٠٦] ، وتأخذك الدهشة في هذا الاقتراح العجيب ؛ فتراهم يهونون من شأن القرآن ، وفي الوقت نفسه يرون أنه لا يليق نزوله إلا على واحد من كبرائهم المقترَحين ، ويلفت النظر في هذا الاقتراح أيضاً دبيب الحسد إلى نفوس هؤلاء المقترِحين ونفاستُهم على الرسول صلى

الله عليه وسلم . قال الله تعالى رداً على اقتراحهم الأهوج هذا : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] أي أهم الخزان لرحمة الله وبيدهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة من يشاؤون ، ويمنعونها من يشاؤون ؟! ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فإذا كانت معايش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى ، فمن باب أولى وأحرى أن تكون رحمته الدينية التي أعلاها النبوة والرسالة بيده تعالى وتقدس[١٠٧] . إن أمر اختيار الرسالة ليس منوطاً بالأهواء ولا بالشهوات ولا بالأماني إنما ذلك أمر الله تعالى وعلمه ومشيئته واختياره ، فهو أعلم بمن يصلح لها من خلقه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]

- ومن جملة آيات اقترحوها في مجلس من مجالسهم مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، طلبوا منه أن يرقى إلى السماء ، ثم أردفوا بأنه حتى لو فعل فلن يصدقوه ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء: ٩٣]، قال مجاهد رحمه الله تعالى : أي مكتوب فيه إلى كل منهم واحداً واحداً صحيفة ؛ هذا كتاب من رب العالمين إلى فلان بن فلان تصبح موضوعة عند رأسه يقرؤها[١٠٨]، يالهُ من تبجح وتعنت يدل على كبر وتغطرس ، وعدم رغبة في الإيمان !! .

- بل إن آية أخرى تأتي صريحة في هذا المعنى وهي قوله تعالى ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] أي أن كل واحد من أولئك المشركين يريد أن يُنزل عليه كتاب من السماء كما أنزل الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم[١٠٩] . ويُشمُّ من هذه الآية رائحة

الحسد الذي يغلي في صدور القوم تجاه اختصاص الرسول ﷺ بالرسالة دونهم، وسنبين هذا - إن شاء الله تعالى - من خلال الأمثلة من الواقع التاريخي الذي نقلته إلينا كتب السيرة، كما يلاحظ اعتداد كل منهم بذاته وأنه لا يرى أن يكون لأحد فضل عليه حتى في ميدان الرسالة .

- ثم يظهر نمط من اقتراح الخوارق الخاصة بهم في أشياء محسوسة يحصل لهم الانتفاع بها، ﴿ **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا** ﴾ [**الإسراء**: ٩٠] ، يقصدون بالأرض بلدهم مكة[١١٠]، وأما الينبوع فقد اختلف فيه المفسرون ؛ فقال مجاهد وقتادة وغيرهم : المقصود به العيون[١١١]، وقال ابن كثير : الينبوع العين الجارية ؛ سألوه أن يجري لهم عيناً معيناً في أرض الحجاز هاهنا وهاهنا[١١٢]، وقال ابن سعدي : الأنهار الجارية[١١٣] . وروى أبو يعلى في مسنده عن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه أن قريشاً سألوا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أن يفجر لهم الأرض أنهاراً فيتخذونها محارث ، فيزرعون ويأكلون[١١٤] . وعلى أي حال فهم يريدون توفر المياه في بلادهم بشكل يمكنهم من ممارسة الزراعة بوجه مريح يرتضونه .

- ومقترح آخر من هذا النوع وهو تسيير جبال مكة عنهم حيث قد ضيقت عليهم ، وبسط بلادهم حتى تكون صالحة للزراعة[١١٥]، ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ..** ﴾ [**الرعد**: ٣١] .

- وثالث وهو أن يجعل لهم الصفا ذهباً كما روى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً[١١٦]، حتى ينحتوا منها فتغنيَهم عن رحلة الشتاء

والصيف[١١٧]، وقد روي أنهم سألوا هذه الآية بعدما سألوا اليهود عن ما جاءهم به موسى من الآيات، وسألوا النصارى عن ما جاء به عيسى، فسألوا النبي ﷺ، فدعا ربه، فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] فليتفكروا فيها[١١٨]، ويلاحظ اتباعهم سَنَنَ مَنْ قبلهم؛ اليهودَ والنصارى، وتأسيهم بهم في اقتراح الآيات.

- ومن الآيات التي طلبوها بعث من مضى من آبائهم الأولين، لا، بل وليس أيُّ واحد منهم يشفي الغليل؛ " فليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب[١١٩]؛ فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول، أحق هو أم باطل؟ فإن صدقوك، و صنعت ما سألناك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول[١٢٠]. قال تعالى مبيناً جراءتهم عليه ومحاولة تعجيز رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في اقتراحهم المتهالك هذا: ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الدخان: ٣٦]، ويوضح ذلك في آية أخرى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجاثية: ٢٥]، يا ترى أي ملازمة بين صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وبين الإتيان بالآباء؟! ألم تتواتر عليهم الآيات التي قامت على صدق الرسول ﷺ تواتراً عظيماً من كل وجه؟! ألا إنهم كذبة فيما قالوا هدفهم دفع دعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الأسلوب الماكر[١٢١].

ومن أغرب الآيات التي طلبوها ليقفوا من خلالها على صدق دعوة الرسول ﷺ اقتراحهم نزول العذاب بساحتهم، ولعمر الله إن هذا لهو السفه بعينه والغباء والجهل والظلم المترتب على العناد والتكذيب والعتو، وإلا إذا نزلت هذه الآية فماذا سيبقى لهم ومن سيبقى منهم حتى يعتبر أو ينز جر. والملاحظ تكرر الآيات التي تحمل

هذا المعنى في القرآن الكريم مرات عديدة تزيد على عشر مرات، مما يدفع الباحث إلى التأكيد أن هدفهم كان تعنيت الرسول ﷺ وتعجيزه خاصة لمّا رأوه لا يستجيب لهم فيما يقترحونه من سائر الآيات ، ولمَا رأوا من الآيات القرآنية التي تحث على الاستئناء بهم وإرجائهم علّهم يؤوبون إلى رشدهم، وأنهم كانوا يفعلون ذلك أيضاً استهزاء وسخرية ومكايدة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كانوا يرونه يتضايق من مواقفهم ويتألم، كما سنرى بإذن الله تعالى . والآن نعرض الآيات الواردة بهذا الصدد :

- قال تعالى حاكياً عنهم مقولتهم : ﴿**أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا**﴾ [**الإسراء**: ٩٢] ، " أي أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتهي وتدلى أطرافها ، فعجل ذلك في الدنيا وأسقطها كسفاً أي قطعاً"[١٢٢] .

- وقال تعالى : ﴿**وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [**الأنفال**: ٣٢] ، أي إن كان الذي يقوله محمد ﷺ من أمر التوحيد و ادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء ، يعني كما أمطرتها على قوم لوط ، أو ائتنا بعذاب أليم أي مثل ما عذبت الأمم الماضية[١٢٣] . ويظهر من هذا مدى الاستخفاف والاستهزاء بما كان يخوفهم به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أخبار الأمم الماضية التي حاق بها العذاب . وأما استعجالُهم العذاب فدليلُ جهل وعناد وطيش للعقول، وإلا لو طلبوا بدل العذاب الرحمة والهداية ألم يكن أنفع لَهم وألطف بهم ؟! ومن أجل هذا عيبوا وجُهِّلوا[١٢٤] . واختلف فيمن تجرأ من قريش على التفوه هذا الدعاء؛ فروى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، قال أبو جهل : اللهم إن كان هذا هو الحق

من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . فنزلت ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ، ومالهم أن لا يعذبهم وهم يصدون عن المسجد الحرام . . ﴾[١٢٥]، وروي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما أنه قول النضر بن الحارث[١٢٦] . ونحن نرجح هنا رواية الصحيح في دعاء أبي جهل بهذا الدعاء، لكن النضر بن الحارث كان أيضاً من شياطين قريش كثير العنت والإيذاء القولي والفعلي للرسول ﷺ، وكانت له مواقف مشابهة في طلب الآيات والدعاء مثل هذا الدعاء؛ كما روي عن ابن عباس وعطاء أنه نزل فيه[١٢٧] ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع ﴾[١٢٨]، وقوله تعالى : ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ﴾[١٢٩]، وقال عطاء: نزل في النضر بضع عشرة آية من كتاب الله . لكن وجود الرسول ﷺ بين ظهرانيهم كان أَمَنَة لهم من العذاب ، كما قال تعالى ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ كما أن الاستغفار أيضاً أمنة من عذاب الله في ذلك الحين وفي كل حين ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾.

- وقال عز وجل ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ وقد وردت هذه الآية مرة في سورة الحج [الآية: ٤٧]، وأخرى في سورة العنكبوت [الآية: ٩٧]، وعُقّب عليهما بما يدل على أن عذاب الله واقع بهم لا محالة ولن يحول بينهم وبينه مانع إن هم أصروا على ما هم عليه من الكفر بالله والتكذيب برسوله ﷺ، ولكن من رحمة الله تعالى وحلمه ولطفه بهذه الأمة أن أخر عذاب المسيء منهم إلى يوم القيامة[١٣٠] ﴿ **وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٥٣، ٥٤]، ولكن من أُخِّر عنه العذاب الدنيوي فإن أمامه العذاب الأخروي

الذي لن يفلت منه أحد[١٣١].

- وقال عز من قائل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ﴾ [الرعد: ٦]، اغتر كفار قريش بحلم الله الواحد القهار وعدم معاجلته إياهم بالعقوبة بسبب ذنوبهم واستكبارهم فظنوا أنهم على هدى فراحوا يتمادون في استعجال نزول العذاب بهم، ولم يتعظوا بما حل بالأمم السالفة المكذبة من وقائع الله وأيامه[١٣٢].

- وقال تعالى ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٤] أشراً وبطراً واستهزاء واتكالاً على الأمل الطويل، كما أن في هذا الاستفهام الإنكاري تبكيت لهم[١٣٣]، واستعجال المشركين العذاب هو قولهم: لن نؤمن لك حتى تسقط السماء علينا كسفاً[١٣٤].

- قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: ٨]، استبطؤوا العذاب حين تأخر نزوله بهم فقالوا هذه المقولة استعجالاً واستهزاء وتكذيباً فإن سجاياهم قد ألفت التكذيب والشك فلم يبق لهم محيص عنه ولا محيد[١٣٥].

- وقال الحليم الصبور: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾، تكرر ورود هذه الآية في القرآن الكريم ست مرات في ست سور[١٣٦]، ويذكر المفسرون في صددها أن كفار قريش من فرط إنكارهم لما توعدهم به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتكذيبهم وعنادهم واستهزائهم وسخريتهم واستبعادهم لنزول العذاب كانوا يستعجلون وقوعه، وهذا ظلم منهم لأنفسهم وجهل حيث طلبوا من الرسول ﷺ ما لا يملك[١٣٧]. ويفهم من هذه الآية وهذا التكرار أنهم استبطأوا نزول العذاب استبطاء نفد معه صبرهم، فصاروا يتساءلون عنه باستمرار أمناً

من مكر الله عياذاً بالله . إن جميع تلكم الآيات القرآنية التي دلت على استعجالهم للعذاب أو استبطائهم إياه يفهم منها معنى واحد هو رغبة كفار قريش نزول آية تدفعهم إلى الإيمان دفعاً، وهي حلول العذاب بساحتهم، لكن الرحيم الودود كان ألطف بهم من أنفسهم وأرأف بهم من ذواتهم، حيث لم يعاجلهم بما طلبوا، بل مدّ لهم في الأجل ، ولم يؤاخذهم بطيشهم ونزقهم وأذيتهم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومكايدتهم له ، بل عاملهم بلطفه فأناب منهم من أناب ، أما من أصرّ على عناده وجبروته فقد لاقى حَيْنَه في بدر وصُرع هناك أيّ مصرع!! فكان ذلك مقدمة العذاب المستعجل .

وأشير بعد هذا إلى رواية طويلة أوردها ابن إسحاق[١٣٨] ، وابن هشام عنه[١٣٩] ، ونظراً لطولها وتكرار المقترحات التي وردت فيها فسأكتفي بذكر ما يمكن أن يستخلص منها من فوائد :

* أنها صرحت بأسماء رجال الملأ من قريش (أشرافهم) الذين اجتمعوا بالرسول ﷺ وسلم، ثم اقترحوا عليه ما اقترحوا من الآيات ؛ وهم : عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة ، وأبو سفيان بن حرب ، و النضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله ابن أمية، و العاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف . فهؤلاء هم أهل المقترحات السابقة التي تحدثنا عنها، وهم حاملو لواء المعارضة لدعوة الرسول ﷺ .

* استجابة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم السريعة لما طلبوه حرصاً على رشدهم وهدايتهم .

* أنهم قدموا بين يدي محاورته تبكيتاً له وشتماً وتسفيهاً أنْ جاءهم

برسالته التي تهدم باطلهم .

* حاولوا إغراءه أولاً ببعض ما تتطلع إليه نفوس أمثالهم من المال والسيادة والشرف والملك ، ثم عرضوا عليه التطبيب من أموالهم إن كان به مس من الجن ، فلم يكترث بذلك كله .

* عرضوا عليه في آن واحد مجموعة من آيات الاقتراح كالتي سبق الحديث عنها هنا، مثل : تسيير الجبال عنهم ، بسط بلادهم ، تفجير الأنهار فيها كأنهار الشام و العراق ، بعث من مضى من آبائهم خاصة قصي بن كلاب ، بعث ملك معه يصدقه بما يقول ويراجعهم عنه ، أن يجعل له جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة حتى يستغني عن ما يبتغي ، أن يسقط السماء عليهم كسفاً ، أن يأتيهم بالله والملائكة قبيلاً، أن يتخذ إلى السماء سلماً فيرقى فيه وهم ينظرون حتى يأتيها ، ثم يأتي معه بصك منشور وأربعة من الملائكة شهود أنه كما يقول ، وبعد هذا يقول قائلهم : «وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك» .

* أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرد على مقترحاتهم ببيان هدفه من الرسالة ؛ البشارة والنذارة، وأنه لا يسأل ربه تلك الآيات، فأمرها إليه تعالى إن شاء أن يحدثها فعل .

* أسف الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وحزنه الشديد على ما فاته مما كان يؤمل لما دعوه .

سادساً : اقتراح آيات مطلقة دون تحديد:

هذا النوع من الآيات لم يخصص بشيء معين مثل ما مر في المقترحات السابقة ، بل يريدون آية مجرد آية أياً كانت ، فهم متعطشون لرؤية آية يستدلون بها على صدق الرسول ﷺ بأنه مرسل من ربه !! كأنهم لم يروا آية

قط ؛ لا آيته الكبرى القرآن المنزل من عند الله تعالى الذي بهر عقولهم وأدهشهم وحيرهم ، ولا آياته الأخرى التي وقفوا عليها ورأوها رأي العين ، حيث لا تحتمل صرفاً ولا تأويلاً . وقد حكى الله عز وجل عنهم في القرآن الكريم كثيراً من هذا الصنف ، حيناً بالجمع وأحياناً بالإفراد ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ** ﴾ [**العنكبوت** : ٥٠] ، فيُوَجَّهُ الرسولُ ﷺ للرد عليهم في آخر الآية بقوله : ﴿ قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ﴾ .

وكما في قوله سبحانه : ﴿ وقالوا لولا نزّل عليه آية من ربه ﴾ فيؤمر بإجابتهم في آخر الآية بقوله : ﴿ قل إن الله قادر على أن ينزّل آية ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

وكقوله تعالى : ﴿ **وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ** ﴾ [**يونس** : ٢٠]، فيرشده عز وجل للرد عليهم بقوله : ﴿ فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين ﴾ .

وقال عز من قائل : ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ** ﴾ [**الرعد** : ٧]، ثم يذكره الله تعالى بمهمته التي أرسله من أجلها ﴿ إنما أنت نذير ولكل قوم هاد ﴾ .

وفي السورة نفسها يتكرر أول الآية السابقة ، لكنها تختم بقوله : ﴿ **قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ** ﴾ [**الرعد** : ٢٧].

وقال تعالى : ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ﴾ ، ثم ختمها بقوله : ﴿ **أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ** ﴾ [**طه** : ١٣٣].

وقال سبحانه حكاية عنهم : ﴿ **فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ** ﴾ [**الأنبياء** :٥]، ثم أتبعها بقوله : ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ﴾ .

وقال : ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا** ﴾ [**الأنعام**:١٠٩] ، ثم بيّن لرسوله كيف يجيبهم ﴿ قل إنما الآيات عند الله ﴾ .

وأخيراً قال في آية سبقت : ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ .

لم أقف عند تفصيلات المفسرين حول هذه الآيات ، لأنها متشابهة ومكررة ، ولكنها تتفق في جملتها على أن المقصود بتلكم الآيات آيات الاقتراح التي اقترحوها وسبق ضرب الأمثلة عليها فيما ورد من هذا البحث ، أو أن كفار قريش يريدون بتلك الاقتراحات المطلقة آيات جديدة لم تخطر لهم على بال . و حيث إنه لم يكن لهم هدف صحيح فيما ذكر ، بل مجرد تأبٍّ وعناد ، لم يلتفت إلى ما اقترحوا ، ويلاحظ في جملة الردود عليهم توجيه نظرهم إلى أن أمر الآيات إلى الله تعالى هو الذي يرسلها إذا شاء ويمنعها إذا شاء .

ونسأل هنا ما الذي جعل قريشاً تشتط في طلب تلكم الآيات من الرسول ﷺ ؟ وهل كان في الآية التي جاءهم بها قصور ؟!

كلا ثم كلا ، بل إن الذي دفعهم إلى ذلك عدم رغبتهم في الإيمان أصلاً وإلا لو كان لهم هوى فيه ما جاوزوا آية واحدة من القرآن الكريم ، بل لكفتهم سيرة النبي الذي جاء به ؛ فهو منهم ويعرفونه بسَمْته وهديه ودَلّه أكثر مما يعرفون أبناءهم ، ويرتاحون له ، ويلقبونه بالأمين ، ويودعونه كرائم أموالهم حتى وهم في حالة عداء معه . ولكنّ مَنْ كُتب عليه الشقاءُ منهم نَفَسَ عليه مقام الرسالة الذي أُكرم به ، وحَسَدَهُ على ما آتاه الله من فضله ، وقد لمسنا ذلك جلياً في ما مرّ معنا من آياتهم المقترحة ؛ كأن يؤتوا النبوة والرسالة ، أو تتنزل عليهم كتب من السماء . .

وسأضرب مثالاً على واحد منهم لم يستطع كتم ما جاش في صدره من

حقد وحسد إزاء محمد ﷺ ورسالته ، بل باح بذلك أكثر من مرة أمام رجال من قومه ، ذلكم هو أبو جهل ؛ سأله الأخنس بن شريق مرة عن رأيه في ما سمع من القرآن ، فقال له : «ماذا سمعت ؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه»[١٤٠] .
وسأله الأخنس نفسه مرة أخرى عندما اختليا ، فقال له : «يا أبا الحكم أخبرني عن محمداً أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا من قريش غيري وغيرك يستمع كلامنا ، فقال أبو جهل : ويحك! والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية و الحجابة والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش ؟!»[١٤١] .

وهذا قليل من كثير من فلتات لسانه التي تفصح عن بعض ما في قلبه من بغض وحسد وشنآن لرسول الله ﷺ ولما جاء به عن ربه . وداء الحسد هذا أصل كل بلية ، ووراء كثير من الأسباب الدافعة لهم إلى اتخاذ مواقفهم المعادية للرسول ﷺ .

ومن أهدافهم في اقتراح الآيات إظهار عجز الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، و إحرجه أمام أتباعهم ، لأنهم يعلمون أنه بشر مثلهم لا يملك الآيات و لا يستطيعها إلا بإذن الله تعالى ، ومحاولة تعنيته والتضييق عليه ، وإيصال الأذى والهم والحزن إلى نفسه الشريفة ، وتنفير الناس عنه ، وإقامة العذر لأنفسهم في عدم اتباعه عندما يتخلف ما اقترحوا ، وليظهر أمام الناس قوة جدالهم وأنهم قوم خصمون[١٤٢] ، وإلا فليس لهم أي مصلحة من تلك الآيات لو تحققت ، ومما افتضحوا به قول أحدهم بعد طلب المعجزات : «و أيم الله ، أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك»[١٤٣] .

ونسأل مرة أخرى لمَ لمْ يجابوا إلى ما اقترحوا من الآيات ؟

والجواب على ذلك من عدة وجوه :

(١) أنهم لم يكونوا جاهلين بالحق ، ولم يكن ملتبساً عليهم فراحوا يبحثون عن معرفته عن طريق تلك الآيات ، بل كان طلبهم لها تعنتاً وتعجيزاً ، كما هو واضح مما أسلفنا .

(٢) أن الله سبحانه وتعالى يعلم أنهم لن يستجيبوا حتى لو تحقق لهم كل ما سألوه من الآيات ؛ فهو أعلم بأنفسهم منهم ، وقد عَرَضَ لهم تجارب حية من مكذبي الأمم السالفة الذين لم يرتدعوا بالآيات ، قال تعالى كاشفاً حالهم : ﴿ **مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [**الأنبياء** : ٦] .

وسنعرض فيما يلي عدداً من الشواهد القرآنية التي تؤكد هذه الحقيقة ، وهي شواهد كثيرة تفصح بقوة عن تهافت مقترحاتهم وفسادها وأنها لا تؤدي إلى ثمرة مرجوة مادامت قلوبهم مغلفة عن الإيمان :

- قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾ [**يونس** : ٩٦، ٩٧] .
- وقال سبحانه : ﴿ **وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [**يونس**:١٠١] .
- وقال عز وجل : ﴿ **إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً** ﴾ [**الإسراء** : ٨٧] .
- وقال تبارك وتقدس : ﴿ **وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [**الأنعام**:١٠٩] .
- وقال عز من قائل : ﴿ **وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ**

مُبْطِلُونَ﴾ [الروم: ٥٨].

- وقال العليم الحليم: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]

- وقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥].

- وقال الحكيم الخبير: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]

- وقال جل من قائل: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥].

- وقال الحق المبين: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

- وقال ذو العزة: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

(٣) أنه اقتضت حكمة الله عز وجل وسنته الكونية أن يعاجل بالعقوبة والعذاب الدنيوي من يطلب آية، ثم تأتيه، فيكفر بها، قال سبحانه وتعالى لنبيه عيسى عليه الصلاة والسلام وقد سأله قومُه المائدَةَ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]. وقد جاء في الحديث أن الرسول ﷺ خُيِّر بين إجابتهم إلى ما سألوا واقترحوا من الآيات مع نزول العذاب عليهم إن لم يؤمنوا، و بين الاستئناء بهم و إنظارهم، فاختار ﷺ إنظارهم وفَتْحِ باب التوبة لهم والرحمة بهم(١٤٤)، وكان بهم شفيقاً وعلى هدايتهم

حريصاً، فجازاه ربه عن أمته خير ما جازى نبياً عن أمته .

(٤) ثم إنهم لم يجابوا إلى ما اقترحوا من الآيات أيضاً لأن في آية القرآن العظمى التي كرم بها رسوله ﷺ غُنية عن غيرها من الآيات فهي كافية شافية مستمرة دالة على صدقه وصحة ما جاء به في كل زمن من الأزمان[١٤٥]، فيها بيان كل شيء ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩] ، وصرّف الله فيه من الآيات وفصل ما يحفز على الإنابة والاعتبار والتفكر والإيمان .

قال سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ في معرض تعليقه على قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٣، ٤] : «لقد شاء الله أن يجعل هذا القرآن هو معجزة هذه الرسالة ـ ولم يشأ أن ينزل آية قاهرة مادية تلوي الأعناق وتخضعها وتضطرها إلى التسليم - ذلك أن هذه الرسالة الأخيرة رسالة مفتوحة للأمم كلها وللأجيال كلها، وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو أهل مكان ، فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للبعيد والقريب، لكل أمة ولكل جيل . و الخوارق القاهرة لا تلوي إلا أعناق من يشاهدونها، ثم تبقى بعد ذلك قصة تروى، لا واقعاً يشهد»[١٤٦] .

روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما منْ الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثْلُه آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[١٤٧] .

ومعنى الحديث : أن كل نبي من الأنبياء أعطي آية حسية أو أكثر من

شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن لأجلها ، ومعجزة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم التي اختص بها دون غيره هي معجزة القرآن الباقية الخالدة التي من شأنها أنها شاهدُ صدْق على نبوته ورسالته لكل من رآها إلى يوم القيامة ، ولهذا سيكون الرسولُ صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر الأنبياء أتباعاً يوم القيامة[١٤٨] .

من أوجه الشبه بين كفار قريش وبين الأمم السابقة:

يتشابه كفار قريش مع كفرة الأمم الداثرة في أوجه شبه كثيرة في ميدان التعنت واقتراح الآيات، وهذا غيض من فيض من الأمثلة التي يزخر بها القرآن الكريم :

(١) اقتراحهم رؤية الله ، تنزه وتعالى عن ما يقولون علواً كبيراً ؛ قال بنو إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ **أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً** ﴾ [**النساء** :١٥٣] ، و قال قوم محمد لمحمد ﷺ ﴿ **أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا** ﴾ [**الفرقان** : ٢١] .

(٢) استنكروا بشرية الرسول ؛ فاقترحوا أن يصاحبه ملك ، قال فرعون أخزاه الله تعالى : ﴿ **أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ** ﴾ [**الزخرف** : ٥٣] ، وقال كفار قريش : ﴿ **أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ** ﴾ [**هود** : ١٢] .

(٣) اقتراح نزول كنوز من الأموال والنفائس على الرسل من السماء ؛ قال فرعون لعنه الله تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ** ﴾ [**الزخرف** :٥٣] ، وقال متعنتة قريش : ﴿ **أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ** ﴾ [**الفرقان** : ٨] .

(٤) استعجال نزول العذاب بساحتهم ؛ كما طلب قوم نوح[١٤٩] ، وقوم هود[١٥٠] ، وقوم صالح[١٥١] ، وقوم لوط[١٥٢] ، وقوم شعيب ؛ فعلى سبيل المثال قال لهذا الأخير قومُه : ﴿ **فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن**

كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، وقال مشركو مكة: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢]

ويستنتج من هذا أن منهج أعداء الله تعالى قديماً وحديثاً في التعامل مع رسل الله والدعاة إلى صراطه المستقيم واحد، كما أن المنهج الذي واجه به الرسل أقوامهم في هذا الصدد واحد أيضاً، مما يدل على أن خالق ومدبر أولئك وأولاء واحد أحد لا شريك له ولا ند.

مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم:

إن المهمة الرئيسة التي بعث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من أجلها تنحصر في كلمات موجزة؛ هي أنه أرسل إلى الثقلين (بشيراً ونذيراً) بشيراً لمن أطاعه برضوان الله تعالى وجنته ونذيراً لمن عصاه بسخط الله ونيرانه. والآيات القرآنية التي توضح هذه المهمة تجلّ عن الحصر، لكننا نشير

هنا إلى شيء منها، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [هود: ٣٣]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الفتح: ٨] وقوله: ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: ٤]، فمهمة الرسول ﷺ إذاً واضحة محددة، لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم بخلقه الكريم الذي جبله الله تعالى عليه لم تطب نفسه أن يقف عند ذلك فحسب، بل اجتهد في دعوة قومه ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، استسهل كل حَزْن، واستهان بكل مخوف، وطرق كل باب، وركب كل صعب وذلول في هذا السبيل، فلم يَرُقْ ذلك لمخالفيه، فنهنهوه فلم يتنهنه، فآذوه وحاربوه بكل ما استطاعوا من وسائل كيدهم ومكرهم الشيطاني؛ ومن ذلك ما سقناه في هذا البحث، ومع ذلك لم يتغير منهجه في دعوتهم، بل كان يتألم ألماً نفسياً قاسياً عندما يرى صدودهم وإعراضهم و اشتطاطهم في مخالفته، لكنه ما بَرِح

بذلك لأحد من البشر ، غير أن العليم الخبير كشف لنا هذا السر المكنون في ذلك القلب الحنون ؛ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [الحجر : ٩٧] ، ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : ٦] ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [هود : ١٢] ، فيربتُ المولى عز وجل على ذلك القلب بتذكيره بمهمته الأساس : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص : ٥٦] ، ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ [النحل : ٣٧] ، ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل : ١٢٧] . وفي غمرة الحرص على الدعوة لهؤلاء الجانفين والرغبة في جرهم إلى ساحة الإيمان كان يشق عليه ما يواجهه منهم من إعراض ، فيخاطبه من هو أعلم بسرائرهم ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥] ، فيقطعُ طمعَه في هداية أشباه هؤلاء المعاندين[١٥٣] .

ويأتي الجواب الرباني الكريم عن كل ما تكلفوه من آيات الاقتراح ، والتوجيه للرسول الأمين بما يقول إزاء ذلك كله : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٣] وهو رد قاطع حاسم عليهم ، يشير إلى تنزيه الباري عز وجل أن يعجزه شيء في السماوات أوفي الأرض ، بلهَ تعنتاتهم التي لا تعرف لله وقاراً ، وإلى مهمة الرسول المبشر المنذر الذي لا يملك من أمر الآيات شيئاً ولا يتحكم على الله فيها[١٥٤] .

الخاتمة :

وبعد هذه الجولة السريعة من خلال النص القرآني حول هذا الأسلوب الذي استعمله كفار قريش في محاولة من محاولاتهم اليائسة لإيقاف زحف دعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم التي كانت تسري في مجتمعهم سرياناً بعث اليأس والقنوط والوحشة في نفوسهم أسفاً وحسرة على موروثهم الجاهلي المدبر ، حيث أحس رجال الملأ منهم أن البساط يسحب من تحت أرجلهم؛ فصدرت منهم تلك الانتفاضات غير الموزونة .

وهذه وقفة عند أهم الملحوظات والاستنتاجات من هذه الدراسة :

- يلفت نظر الباحث شدة التشابه بين رجال الملأ المتنفذين من أمم الكفر منذ زمن نوح عليه الصلاة والسلام إلى وقت ظهور نبينا محمد ﷺ في تكذيب الأنبياء واقتراح الآيات ، فالمتأخر منهم يتبع سَنَنَ المتقدم .
- واقتراح الآيات على رسولنا محمد ﷺ كان من قبل رؤساء قريش ومتنفذيها ؛ فئة الأكابر ، وهم الذين ذكرهم اللهَ تعالى في قوله : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا** ﴾ [**الأنعام** : ١٢٣]، ودل على ذلك الآية التي بعدها مباشرة وهي قوله تعالى : ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ ، ورواية ابن إسحاق التي نصت على أسمائهم[١٥٥] ، فالذين اقترحوا هذا الاقتراح هم كبراء كفرة قريش الذين كانوا يسعون إلى أن يكون لهم امتياز ذاتي يحفظ لهم خصوصيتهم بين الأتباع بالأمر والنهي المطاع .
- أنهم في اقتراحهم للآيات لم يكونوا يقصدون تبيُّن الحق أو الوصول إليه ، لأنه لم يكن خافياً عليهم أو ملتبساً، ولأن من يقصد إلى معرفة الحق لا يستعجل على نفسه بنزول العذاب ، بل كانوا يفعلون ذلك

مراوغة وتعنتاً ، والدليل أيضاً أنهم لم ينتفعوا من آيات الرسول الحسية الأخرى ؛ كانشقاق القمر ، والإسراء والمعراج .

- أنهم من خلال طرحهم لآياتهم المقترحة أبدوا ما تخفيه نفوسهم المريضة من حسد وكبرياء وعتو وتعال عن الحق .
- يلاحظ أنهم كانوا يطرحون اقتراحاتهم أحياناً بأساليب تظهر فيها الجرأة والتطاول والفظاظة[١٥٦] والتدخل فيما لا يعنهم .
- تجلى في بعض مقترحاتهم سوءُ الأدب مع الله تعالى ، حيث اقترحوا آيات تتعلق بذاته الشريفة ، من غير حياء أو خوف من نقمته العاجلة أن تصيبهم فتفعل بهم كما فعلت بأشباههم السابقين .
- أنهم لم يأخذوا العبرة والدرس من القصص القرآني في وصف ما جرى على الأمم السالفة المشتطة في اقتراح الآيات على أنبيائها .
- تجاهلوا آية الرسول العظمى مع أنها بهرتهم ، وتحداهم الله تعالى بها فظهر عجزهم ، ولما لها من أثر فاعل في النفوس صاروا يتواصون بالصدود عنها والإعراض ، وعدم تمكين أصحاب النبي ﷺ من تلاوتها على مشهد منهم .
- يدل كثرة ورود آيات الاقتراح في القرآن على كثرة طلبهم لها من الرسول ﷺ وترديدهم لذلك .
- يلاحظ أن الباري عز وجل سمى القرآن (فرقاناً) ، وسمى بهذا الاسم واحدة من السور المكية التي حفلت بذكر كثير من اقتراحاتهم .
- يلاحظ ورود آيات التسلية للرسول ﷺ بعد آيات الاقتراح بسبب ما تحدثه هذه من ضيق وحرج في صدره ، كتسلية الله تعالى له بقوله : ﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ**

يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، بعد قولهم: ﴿لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، بعد قولهم: ﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الأنعام: ٣٧].

- يلفت النظر من استقراء آيات الاقتراح عند عرضها في القرآن الكريم أن الباري عز وجل يعرضها أحياناً عرضاً مجرداً، لأن من يتصورها يجزم ببطلانها، وأنها لا تقدح في دعوة الرسول ﷺ فضلاً عن أن تكون حجة لمن أوردها، وأحياناً يعرضها ثم يردفها بما يبطلها.
- حرص الرسول ﷺ على هداية رجال الملأ من قومه الذين كانوا يتصدون لدعوته ويواجهونه بما يكره من القول والفعل، و مصابرته نفسه على ذلك حتى عاتبه الله تعالى.
- سعة حلم الله تعالى وفضله على أولئك المعاندين له ولرسوله وحبيبه ﷺ؛ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة التي سألوها نزقاً وطيشاً، إكراماً لنبيه وإلطافاً، ورجاء أن يتحول بعضهم عن موقفه المكابر إلى الحق، أو يخرج من أصلابهم من هو أهدى منهم، والله تعالى أعلم.

هذا وأختم بالصلاة والتسليم على من اصطفاه سبحانه ليكون رحمة للعالمين

الهوامش :

(١) انظر ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة (أبي) ، وابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أيا) ، ومادة (عجز) ، والمعجم الوسيط ، مادة (أيّا) ، وتفسير الطبري ٧/ ٧٩١ .

(٢) الخفاجي ، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ٢/ ٤٤٠ .

(٣) انظر القاضي عياض ، الشفا ١/ ٧٣٦-٧٣٧ ، وسعد محمد صادق ، الأنبياء في القرآن ص ٤٠ .

(٤) ابن سعدي ، قصص الأنبياء ص٢٧ .

(٥) قال لهم نبيهم مذكراً بهذه النعم : ﴿ أتتركون فيما هاهنا آمنين ، في جنات وعيون ، وزروع ونخل طلعها هضيم ، وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين . . ﴾ الآيات ١٤٦-١٤٩من سورة الشعراء .

(٦) ابن سعدي ، قصص الأنبياء ص ٨٢ .

(٧) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٥ .

(٨) انظر في قصة موسى مع فرعون الآيات ٣٠١ وما بعدها من سورة الأعراف ، والآيات ٩ وما بعدها من سورة طه ، والآيات ٠١ وما بعدها من سورة الشعراء .

(٩) الكَمَهُ : العمى يولد به الإنسان ، المعجم الوسيط مادة (كَمِهَ) .

(١٠) الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٨٦ .

(١١) انظر القاضي عياض ، الشفا ١ / ٣٩٤ .

(١٢) القاضي أبو بكر الباقلاني ، إعجاز القرآن ١ / ٨ .

(١٣) الباقلاني إعجاز القرآن ١/ ٩ .

(١٤) في كتابه إعجاز القرآن ١/ ٤٧ وما بعدها .

(١٥) في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٥٠٠ وما بعدها .

(١٦) في كتابه الوفا بأحوال المصطفى ١ / ٢٦٥ وما بعدها .

(١٧) في كتابه الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١١٦ وما بعدها .

(١٨) في كتابه مناهل العرفان ٢ / ٢٢٨ وما بعدها .

(١٩) انظر الباقلاني ، إعجاز القرآن ١ / ٢٧-٣٠، والقاضي عياض ، الشفا ١ / ٥٠٠ وما بعدها .

(٢٠) الآية ٣٨ من سورة يونس ، والآية ١٣ من سورة هود ، وكذا الآية ٣٥ من السورة نفسها ، والآية ٣ من سورة الأنبياء، والآية ٤ من سورة الفرقان ، والآية ٣ من سورة السجدة ، والآية ٤٣ من سورة سبأ ، والآية ٨ من سورة الأحقاف .

(٢١) الآية ٣٣ من سورة الطور .

(٢٢) الآية ١١ من سورة الأحقاف .

(٢٣) الآية ١٠٣ من سورة النحل .

(٢٤) الآية ٤ من سورة الفرقان .

(٢٥) الآية ٢٥ من سورة الأنعام ، والآية ٣١ من سورة الأنفال ، والآية ٢٤ من سورة النحل ، والآية ٨٣ من سورة المؤمنون ، والآية ٥ من سورة الفرقان ، والآية ٦٨ من سورة النمل ، والآية ١٧ من سورة الأحقاف .

(٢٦) الآية ٧ من سورة الأنعام ، والآية ٧٦ من سورة يونس ، والآية ٧ من سورة هود ، والآية ٤٣ من سورة سبأ ، والآية ١٥ من سورة من سورة الصافات ، والآية ٧ من سورة الأحقاف .

(٢٧) الآية ٢٤ من سورة المدثر .

(٢٨) من الآية ٥ من سورة الأنبياء .

(٢٩) من الآية ٥ من سورة الأنبياء ، والآية ٣٠ من سورة الطور ، والآية ٤١ من سورة الحاقة .

(٣٠) الآية ٤٢ من سورة الحاقة .

(٣١) الآية ٢٦ من سورة فصلت ، والآية ٥ من السورة نفسها ، وانظر ابن إسحاق ، سيرة ابن إسحاق ص ١٣٣ .

(٣٢) الآية ٤٢ من سورة الأنبياء، والآية ١٧ من سورة المؤمنون، والآية ٨٦ من سورة ص

(٣٣) الآية ٥٠ من سورة الحجر .

(٣٤) الآية ٣٠ من سورة الفرقان .

(٣٥) الآية ١٠٦ من سورة الكهف ، والآة ٩ من سورة الجاثية ، والآية ٣٥ من السورة نفسها .

(٣٦) الآية ٧٢ من سورة الحج .

(٣٧) النضر بن الحارث من بني عبد الدار ، يعد من سادة قريش المؤذين لرسول الله ﷺ، قتل في أعقاب معركة بدر كافراً ، انظر عنه : الزبيري ، نسب قريش ٢٥٥ .

(٣٨) انظر الزرقاني ، مناهل العرفان ٢ / ٢٢٩ .

(٣٩) الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومي ، زعيم من زعماء قريش ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير فعاداه وقاومه ، هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر . انظر عنه ابن إسحاق ، سيرة ص ١٢٥ ، ١٣٢ . وابن حبيب ، المحبر ص ٢٣٧ .

(٤٠) روى هذه الرواية الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ٢/ ٥٥٠ ، قال محقق الكتاب قال الذهبي في التلخيص : هو على شرط البخاري . وانظر الآيات ١١ وما بعدها من سورة المدثر .

(٤١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أبو الوليد ، من سادات قريش ، موصوف بالرأي والحلم ، أدرك دعوة الرسول ﷺ فلم يسلم وعاداه ، قتل يوم بدر . انظر عنه : الزبيري ، نسب قريش ص ١٥٢ .

(٤٢) ابن إسحاق ، السيرة ص ١٨٨ ، والقاضي عياض ، الشفا ١/ ٥١٣

(٤٣) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، صحابي ، كان من سادات قريش في الجاهلية ، وقادتهم في الحروب ، أسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هجرية ، وشارك في فتوحات الشام ، توفي سنة ١٣ هجرية . انظر عنه ابن حبيب ، المحبر ص ٣٤٦ ، و ابن حجر ، الإصابة ٣/ ٤١٢ وما بعدها .

(٤٤) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، صحابية ، تزوجها أبو سفيان فولدت له

معاوية، شهدت أحداً مع قريش، و اليرموك مع المسلمين، قيل ماتت في خلافة عمر، وجزم ابن سعد بموتها في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنهم. انظر عنها : ابن سعد ، الطبقات ، ٨/ ٢٣٥ وما بعدها، وابن حجر ، الإصابة ٨/ ١٥٥ وما بعدها .

(٤٥) الهيثمي ، مجمع الزوائد ٦/ ٢٠ .

(٤٦) ابن إسحاق ، السيرة ص١٨١-١٨٢ ، وابن الجوزي ، الوفا ١/ ٢٦٦.

(٤٧) ابن إسحاق ، السيرة ص ١٢٥ ، وابن هشام ، السيرة ١/ ٣٩٠ .

(٤٨) القاضي عياض، الشفا ١ / ٤٩٣ .

(٤٩) قال تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾سورة القمر الآيتان ١-٢ .

(٥٠) انظر مثلاً : صحيح البخاري ،(كتاب المناقب ، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية ، ﴿فأراهم انشقاق القمر﴾ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٢١ حديث رقم ٣٩٢٤ ، و٦/ ١٣٥ حديث رقم ٤٢٧٠ . بتحقيق أحمد شاكر .

(٥١) قال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . . ﴾ الآية الأولى من سورة الإسراء .

وقال تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ﴾ الآيتان ١٣-١٤ من سورة النجم .

(٥٢) صحيح البخاري (كتاب التوحيد ، باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ رقم الحديث ٧٥١٧.

(٥٣) انظر مغازي ابن إسحاق ص٤٧٢ وما بعدها .

(٥٤) صحيح البخاري (كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام ﴾ حديث ٤٧١٠ .

(٥٥) مسند الإمام أحمد ١/ ٣٠٩ ، والبيهقي ، دلائل النبوة ٢/ ٣٦٣- ٣٦٤.

(٥٦) هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، أسلم يوم الفتح، ومات بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله تعالى عنه، انظر عنه : ابن هشام ،

السيرة ٢/ ٣٥ - ٣٦، وابن حجر، الإصابة ٤/ ٤٩٧ .

(٥٧) عن قصة ركانة ومصارعته النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يراجع سنن أبي داود (كتاب اللباس ، باب العمائم ، حديث ٤٠٧٨) ، وسنن الترمذي (كتاب اللباس، باب العمائم على القلانس ، حديث ١٧٨٤) . ودلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٢٥٠ وما بعدها، وفي إسناد هذه القصة نظر .

(٥٨) انظر ابن سعدي ٤/ ٣١٤ .

(٥٩) انظر الآيات ١٦٧ - ١٧٠ من سورة الصافات ، وتفسير الطبري ٢٣/ ٧٢ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٣٨ - ١٣٩ ، وتفسير ابن سعدي ٦/ ٤٠٣ .

(٦٠) لذلك سيلاحظ القارئ الكريم ورود آيات القرآن العزيز بشكل مستمر في ثنايا هذا البحث إنْ في عرض آيات الاقتراح أو في الرد عليها ، وأرجو أن لايذهب به الوَهَلُ (الظن) إلى أن ذلك قد يخرجه عن إطاره التاريخي .

(٦١) كالدقة في التعبير ، وطراوة الألفاظ و إحكام النسج و قرب المعنى من فهم القارئ والمستمع مهما كانت درجة ثقافته . . الخ .

(٦٢) رفيع بن مهران الرياحي البصري ، الحافظ المفسر ، أدرك زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شاب ، وأسلم في خلافة الصديق ، توفي نحو سنة ٩٣ هـ، انظر عنه : التاريخ الكبير ٣/ ٣٢٦ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧ .

(٦٣) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، أبو محمد ، الامام المفسر ، أخذ عن عدد من الصحابة ، توفي سنة ١٢٧ هـ ، انظر عنه الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤ - ٢٦٥ ، وابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ٢/ ١١٠ .

(٦٤) الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني ، كان عالم مرو في زمانه ، سجنه أبو مسلم تسعة أعوام ، وتوفي في مرو سنة ١٣٩ هـ ، انظر عنه : البخاري ، التاريخ الكبير ٣/ ٢٧١ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٦٩ - ١٧٠ .

(٦٥) قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، الضرير ، أبو الخطاب ، روى عن أنس بن مالك ، وعدد من ائمة التابعين ، وروى عنه عدد جم من أعلامهم ، توفي سنة ١١٨ هـ ، انظر عنه : تاريخ الفسوي ٢/ ٢٧٧ وما بعدها ، وسير أعلام النبلاء ٥/

٢٦٩ وما بعدها

(٦٦) انظر في تفسير هذه الآية وبيان معانيها والمراد بها: تفسير الطبري ١/ ٤٠٧-٤٠٨، وتفسير القرطبي ٢/ ٩١ - ٩٢ ، وابن كثير ١/ ١٦٢-١٦٣ .

(٦٧) تفسير ابن سعدي ٦/ ٦٣٠ .

(٦٨) تفسير الطبري ١٩/ ٢ .

(٦٩) تفسير ابن سعدي ٥/ ٤٧٠ .

(٧٠) انظر تفسير الطبري ٥١/ ٨٠١-٩٠١ ، وتفسير ابن سعدي ٤/ ٥١٣ .

(٧١) أي اللؤم الخالص، ولئيم قُحّ: أي له عرق أصيل في اللؤم.

(٧٢) تفسير ابن سعدي ٥/ ٤٧٠ .

(٧٣) تفسير ابن سعدي ٥/ ٤٧١*٤٧٢ .

(٧٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٣١١ ، وتفسير ابن سعدي ٥/ ٤٦١ .

(٧٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤١ .

(٧٦) حيث يقول قائلهم : «نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله» ابن هشام ١/ ٣٦٧ ، قال تعالى رداً عليهم : ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً ﴾ الآية ٤٠ من سورة الإسراء ، وقوله ﴿ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ﴾ الآية ١٥٠ من سورة الصافات .

(٧٧) تفسير ابن سعدي ٢/ ٣٧٥ .

(٧٨) انظر تفسير الطبري ٤١/ ٠٧ ، وتفسير ابن سعدي ٤/ ٠٠٢ .

(٧٩) انظر تفسير الطبري ١٥/ ١٠٨ ، وابن سعدي ٤/ ٣١٤ .

(٨٠) انظر تفسير ابن سعدي ٥/ ٤٦٢ .

(٨١) انظر محمد عرجون ، محمد رسول الله ﷺ ٢/ ٢١٨ .

(٨٢) المرجع السابق ٢/ ٢١٧ .

(٨٣) انظر تفسير ابن سعدي ٥/ ٤٦٢ .

(٨٤) انظر تفسير الطبري ١٨/ ١٣٩ .

(٨٥) انظر تفسير ابن سعدي ٥/٤٦٣ .

(٨٦) تفسير الطبري ١٨/ ١٤٠ .

(٨٧) مسند الامام أحمد ٥/ ٤٥٢ ، ورواه الترمذي أيضاً في كتاب الزهد ٤/ ٥٧٥ ، وقال عنه : حديث حسن .

(٨٨) تفسير الطبري ١١/ ٦٨ .

(٨٩) انظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ٤/ ٣٩٩ .

(٩٠) تفسير القرطبي ٩/ ١٢ .

(٩١) تفسير الطبري ١١/ ٦٧ .

(٩٢) انظر تفسير الطبري ١١/ ٦٩ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤١١ .

(٩٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣١٨ .

(٩٤) انظر تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٤ .

(٩٥) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٨ ، وتفسير ابن سعدي ٥/ ٤٧٧ .

(٩٦) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٤ ، وتفسير النسفي ٣/ ٢٣٩ ، وتفسير ابن سعدي ٦/ ٣٠ . وقد فسر بعضهم ﴿ما أوتي موسى﴾ بالآيات التي أوتيها مثل العصا واليد والطوفان والجراد . . انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٣ ، لكن يرجح التأويل الأول قوله تعالى ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ ، كما سيأتي بعد قليل .

(٩٧) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٣ ، وتفسير ابن سعدي ٦/ ٣١ .

(٩٨) انظر تفسير القرطبي ٧/ ٧٩ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٧٤ ، وتفسير ابن سعدي ٢/ ٤٧٠ .

(٩٩) انظر تفسير ابن سعدي ٢/ ٤٧٠ .

(١٠٠) انظر تفسير الظلال لسيد قطب ٣/ ٣٧٨-٣٧٩ .

(١٠١) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي ، كان يكنى أبا الحكم فسماه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أباجهل ، وكان أحد زعماء قريش وصناديدها ، وهو أشدهم عداوة للرسالة والرسول ﷺ ، قتل في بدر . انظر عنه : سيرة ابن هشام

١/ ٣٦٤ ، ٣٩٠ ، ٤٣٤ ، ٢/ ٣٣ ، والبلاذري ، أنساب الأشراف ١/ ١٣٠ .

(١٠٢) تفسير القرطبي ٧/ ٨٠ .

(١٠٣) قاله ابن عباس وغيره أي المقصود بالقريتين ، تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٧ .

(١٠٤) عروة بن مسعود بن عامر بن معتب الثقفي ، من سادة ثقيف ، أسلم واستأذن النبي ﷺ لدعوة قومه إلى الإسلام ، فأذن له وأخبره أنهم قاتلوه ، فرماه أحدهم بسهم فقتله . انظر عنه : الزهري ، المغازي ص ٥٢-٥٣ ، والواقدي ، المغازي ٣/ ٩٦٠ وما بعدها .

(١٠٥) انظر تفسير الطبري ٢٥/ ٤٠ ، وتفسير القرطبي ١٦/ ٨٣ ، وتفسير النسفي ٤/ ١١٧

(١٠٦) انظر تفسير أبي السعود ٨/ ٤٥ ، وتفسير النسفي ٤/ ١١٧ .

(١٠٧) انظر تفسير ابن سعدي ٦/ ٦٤٣ .

(١٠٨) تفسير مجاهد ١/ ٣٧٠ ، وانظر تفسير الطبري ١٥/ ١٠٨ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٦٥ .

(١٠٩) انظر تفسير الطبري ٢٩/ ١٠٧ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٨ . ويورد الزمخشري معنى آخر في سبب نزول هذه الآية وهو قولهم : إن كان محمد صادقاً فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته من النار ، وقيل كانوا يقولون : بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوباً على رأسه ذنبه وكفارته ، فأتنا بمثل ذلك! ، لكن الزمخشري يعلق على ذلك بقوله : وهذا من الصحف المنشرة بمعزل ، إلا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة . الكشاف ٤/ ١٨٨ .

(١١٠) السيوطي ، الدر المنثور ٤/ ٣٦٧ .

(١١١) تفسير مجاهد ١/ ٣٧٠ ، وتفسير عبد الرزاق ١/ ٣٣٠ ، وتفسير الطبري ١٥/ ١٠٧ .

(١١٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٥ .

(١١٣) تفسير ابن سعدي ٤/ ٣١٤ .

(١١٤) مسند أبي يعلى ٢/ ٤٠ ، قال الشيخ حسين أسد : إسناد أبي يعلى في هذا الحيث ضعيف .

(١١٥) مغازي ابن إسحاق ص ١٧٩ ، ومستدرك الحاكم ٢/ ٣٩٤ .

(١١٦) مسند الامام أحمد ١/ ٢٥٨ ، ومستدرك الحاكم ٢/ ٣٤٤ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، قال محقق المستدرك : قال الذهبي في التلخيص : حديث صحيح .

(١١٧) مسند أبي يعلى ٢/ ٤٠ ، و الصالحي ، سبل الهدى والرشاد ٢/ ٤٥٧ .

(١١٨) الطبراني ، المعجم الكبير ١٢/ ١٢ .

(١١٩) قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، كان داهية ، انتزع الملك وسيادة مكة من قبيلة خزاعة ، ثم جمع قومه قريشاً وأسكنهم مكة ، وبنى دار الندوة ، كانت بيده وظائف خدمة الحجيج ، وهو جد الرسول ﷺ الخامس . انظر عنه : سيرة ابن هشام ١/ ١٦٤ - ١٦٥ ، ١٧١ وما بعدها ، وطبقات ابن سعد ١/ ١٦٦ وما بعدها .

(١٢٠) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٦ ، وانظر مسند أبي يعلى ٢/ ٤٠ .

(١٢١) انظر تفسير ابن سعدي ٧/ ١٢ ، ٣٠ .

(١٢٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٥ ، وانظر تفسير عبد الرزاق ١/ ٣٣٠ ، وتفسير الخازن ٣/ ١٨٠ .

(١٢٣) تفسير الطبري ٩/ ١٥٣ ، وتفسير الخازن ٢/ ١٧٩ .

(١٢٤) من ذلك ما روى القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ٧/ ٣٨٩ من أن ابن عباس لقيه رجل من اليهود ، فقال اليهودي : ممن أنت؟ قال : من قريش ، فقال : أنت من القوم الذين قالوا : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ﴾ الآية ، فهلا عليهم أن يقولوا : إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ! إن هؤلاء قوم يجهلون . قال ابن عباس : وأنت يا إسرائيلي من القوم الذين لم تجف أرجلهم من بلل البحر الذي أغرق فيه فرعون وقومه وأنجي موسى وقومه ؛ حتى قالوا : ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ - الآية ١٣٨ من سورة الأعراف - ، فقال لهم

موسى ﴿ إنكم قوم تجهلون ﴾ ، فأطرق اليهودي مفحماً .

(١٢٥) صحيح البخاري ، (كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر ﴾ الآية ، الحديث رقمه ٤٦٤٨) .

(١٢٦) تفسير مجاهد ١/ ٢٦١ ، وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ٢٠٥ .

(١٢٧) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٠٥ .

(١٢٨) أي دعا داع بعذاب واقع ، عن مجاهد أن هذا قولهم : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ﴾ الآية ، انظر تفسير مجاهد ٢/ ٦٩٣ ، وتفسير الطبري ٢٩/ ٤٤ .

(١٢٩) اختلف في معنى (القطّ) فقال الفراء في كتابه (معاني القرآن ٢/ ٤٠٠) الصحيفة المكتوبة ، وذكَر أنهم قالوا ذلك حينما نزل قوله ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ ـ الآية ١٩ من سورة الحاقة ـ فاستهزأوا بذلك وقالوا عجل لنا هذا الكتاب قبل يوم الحساب . وقال آخرون : النصيب أو الحظ أو الجزاء ، أي سألوا ربهم تعجله لهم في الدنيا استهزاء ، انظر تفسير عبد الرزاق ٢/ ١٣٢ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ٨٥- ٨٦ ، وتفسير الزمخشري ٣/ ٣٦٣ .

(١٣٠) الفراء معاني القرآن ٢/ ٣١٨ .

(١٣١) تفسير ابن سعدي ٦/ ١٠١ .

(١٣٢) تفسير ابن سعدي ٤/ ٩٠- ٩١ .

(١٣٣) الزمخشري ، الكشاف ٣/ ١٣٠ .

(١٣٤) تفسير الطبري ١٩/ ٧١ .

(١٣٥) تفسير القرطبي ٩/ ١٠ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٣٩ .

(١٣٦) هي سور : يونس الآية ٤٨ ، والأنبياء الآية ٣٨ ، والنمل الآية ٧١ ، وسبأ الآية ٢٩ ، ويس الآية ٤٨ ، والملك الآية ٢٥ .

(١٣٧) انظر على سبيل المثال : تفسير الطبري ٢٠/ ٧ ، وتفسير القرطبي ٨/ ٣٤٩ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٨٠ ، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٠٨ .

(١٣٨) السيرة ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(١٣٩) السيرة ١/ ٣٦٤- ٣٦٨ .

(١٤٠) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٠ .

(١٤١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٣١ ن وانظر أيضاً سيرة ابن إسحاق ص ١٩١ حيث ذكر موقفاً آخر لأبي جهل مع المغيرة بن شعبة برز فيه ذلك الخلق .

(١٤٢) انظر خاتم النبيين ، لأبي زهرة ١/ ٤٩٠ .

(١٤٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٨٠ .

(١٤٤) مسند الامام أحمد ١/ ٢٥٨ ، ومستدرك الحاكم ٢/ ٣٤٤ ، ٢/ ٣٩٤ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ومسند أبي يعلى ٢/ ٤٠ .

(١٤٥) تفسير ابن سعدي ٥/ ٢١١ .

(١٤٦) في ظلال القرآن ٦/ ١٩٢ .

(١٤٧) كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي ، رقم الحديث ٤٩٨١ .

(١٤٨) انظر ابن حجر ، فتح الباري ٩/ ٦-٧ .

(١٤٩) قالوا : ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ من الآية ٣٢ من سورة هود .

(١٥٠) قالوا : ﴿ فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾ من الآية ٧٠ من سورة الأعراف .

(١٥١) قالوا : ﴿ ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ﴾ من الآية ٧٧ من سورة الأعراف .

(١٥٢) قالوا : ﴿ ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾ من الآية ٢٩ من سورة العنكبوت .

(١٥٣) انظر تفسير ابن سعدي ٢/ ٣٩٣ .

(١٥٤) عرجون ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢/ ٢١٩ .

(١٥٥) السيرة ص ١٧٨ ، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٦٤ .

(١٥٦) انظر مثلاً على فظاظة أسلوبهم في مثل قولهم : ﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ، لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ﴾ الآيتان ٦-٧ من سورة الحجر .

المراجع:

ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم الجزري الشيباني (ت ٦٣٠ هـ)

- اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت (د . ت)

ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ)

- سيرة ابن إسحاق ، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، تحقيق : محمد حميد الله ، الطبعة الأولى، قونية ، تركيا (د . ت).

الباقلاني ، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ)

- إعجاز القرآن ، مطبوع بهامش كتاب الإتقان للسيوطي ، طبعة عالم الكتب ببيروت ، مصورة عن طبعة القاهرة ١٣٧٠ هـ .

البخاري ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)

- التاريخ الكبير ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ١٤٠٧ هـ .
- صحيح البخاري ، الطبعة الأولى ، دار السلام، الرياض ١٤١٧ هـ .

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)

- أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، حققه د. محمد حميد الله ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٩ م.

البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ)

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ هـ

الترمذي ، الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ)

- سنن الترمذي ، دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠١ هـ .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ)

- الوفا بأحوال المصطفى ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، الطبعة الأولى، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)

- المستدرك على الصحيحين ، مراجعة مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١ هـ .

ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت ٢٤٥ هـ)

- المحبر ، تحقيق : د. إيلزه ليختن شتيتر ، المكتب التجاري ، بيروت (د . ت).

ابن حجر ، الحافظ أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)

- الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٣٢٨ هـ
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار المعرفة بيروت (د . ت).

ابن حنبل ، الامام أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال (ت ٢٤١ هـ)

- مسند أحمد بن حنبل ، دار الدعوة ، اسطنبول . ونسخة أخرى بتحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ١٣٧٧ هـ .

الخازن ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٧٢٥ هـ)

- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر ، بيروت (د . ت).

الخفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ـ ١٠٦٩ هـ)

- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ، تصوير عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأزهرية المصرية ، ١٣٧٧ هـ .

أبو داود ، الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ)

- سنن أبي داود ، دار الدعوة ، اسطنبول (د . ت).

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢ هـ .

الزبيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦ هـ)

- نسب قريش ، تحقيق : إ . ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٣٧٦ هـ.

الزرقاني ، محمد بن عبد العظيم ،

- مناهل العرفان في علوم القرآن ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

الزمخشري ، أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، دار المعرفة ، بيروت (د . ت).

الزهري ، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب (ت ١٢٤ هـ)

- المغازي النبوية ، تحقيق : د . سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ١٤٠١ هـ .

سعد محمد صادق ،

- الأنبياء في القرآن ، الطبعة الأولى ، دار اللواء الرياض ١٤٠٢ هـ .

ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد ين منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)

- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت (د . ت).

أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١ هـ)

- تفسير أبي السعود ،المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت)د . ت).

سيد قطب ،

- في ظلال القرآن ، الطبعة السابعة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩١ هـ .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)

- الإتقان في علوم القرآن، طبعة عالم الكتب في بيروت ، مصورة عن طبعة القاهرة ١٣٧٠ هـ
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٤١١ هـ .

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ)

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الناشر محفوظ بن علي ، بيروت

الصالحي ، محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢)

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، الجزء الثاني ، تحقيق : د . مصطفى عبد الواحد ، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي بمصر ، القاهرة ١٣٩٤ هـ .

الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ)

- المعجم الكبير ، مراجعة : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ١٤٠٤ هـ .

الطبري ، أبو جفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)

- تفسير الطبري ، المسمى جامع البيان في تفسير القرآن ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ .

عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة ١٤٠٧ هـ.

- قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ، دار روضة الناظر ، الرياض ١٤١٥ هـ .

عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ)

- تفسير القرآن العزيز المسمى ، تفسير عبد الرزاق تحقيق : د . عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة بيروت ١٤١١ هـ .

ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ين فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)

- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ٠٩٣١ هـ .

الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧ هـ)

- معاني القرآن ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ٣٠٤١ هـ .

الفسوي ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ)

- المعرفة والتاريخ ، تحقيق : د . أكرم ضياء العمري ، الطبعة الأولى ، رئاسة ديوان الأوقاف ، بغداد ١٣٩٤ هـ .

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ)

- تفسير القرطبي ، المسمى الجامع لأحكام القرآن ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٧٣١ هـ .

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل ين كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)

- تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ .

مجاهد ، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي (ت ١٠٤ هـ)

- تفسير مجاهد ، تحقيق : عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي ، المنشورات العلمية ، بيروت .

مجمع اللغة العربية

- المعجم الوسيط ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢ هـ .

محمد الصادق إبراهيم عرجون ،

- محمد رسول الله ﷺ ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، بيروت ١٤٠٥ هـ .

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ)

- لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة (د . ت) .

النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٧١٠ هـ)

- تفسير النسفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت (د . ت) .

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٨ هـ)

- السيرة النبوية ، تحقيق : همام عبد الرحيم سعيد ومحمد بن عبد الله أبو صعيليك ، الطبعة الأولى ، مكتبة المنار ، الزرقاء الأردن ١٤٠٩ .

الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .

الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ)

- المغازي ، تحقيق د . مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت (د . ت) .

اليحصبي ، القاضي عياض بن موسى (ت ٥٤٤ هـ)

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق : محمد أمين قره علي وزملائه ، مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن ، دمشق (د . ت) .

أبو يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧ هـ)

- مسند أبي يعلى ، مراجعة : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ١٤٠٤ هـ .